

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قادم ...

من وراء السنين



رَفْعٌ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قادم من وراء
السنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٥ م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



للطباعة والنشر والتوزيع

وطى المصيطبة
شارع حبيب أبي شهلا
بناء المسكن
تلفاكس: (٩٦١١)
١١٥١١٢-٢١٩-٢٢٤٢-٦٢٢٤٢
ص.ب.: ١١٧٤٦
برقياً: بيوشران
بيروت - لبنان

Al-Resalah
PUBLISHERS

BEIRUT
LEBANON

Telefax: (9611)
815112-319039-603243
P.O.Box: 117460

E-mail:

Resalah@cyberia.net.lb

Web Location

[Http://www.resalah.com](http://www.resalah.com)

قادم من وراء السنين

داود سلمان العبيدي

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

«أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آاتنا من لدنك
رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا»

من هذا القصص الحق استقى المؤلف هذه الرواية التاريخية ،
معتمداً روح النص القرآني وحدوده التي وردت في التفاسير
القرآنية المختلفة، ومستفيداً من النصوص التاريخية التي لا تتعارض
مع جوهر هذا النص وثوابته ، مستعيناً بريشة الخيال المبدعة التي
حركها الكاتب ببراعة ليضعنا في عالم أولئك الفتية المؤمنين
الأطهار الذين شكلوا بموقفهم المعروف حركة إسلامية فريدة في
التاريخ ليعبروا عن رفضهم للمجتمع الفاسد وتوقهم إلى مجتمع
نظيف تسوده العدالة ويحركه الإيمان .

وقد كان المؤلف من الأمانة العلمية بحيث أصرّ قبل وفاته
رحمه الله على أن ننوه القارئ الكريم بأن الأسماء الواردة في هذه
القصة من نسج خياله ، وأنه اعتمد في تحديد عدد الفتية على
الحد الأعلى الذي سكنت عنه الآية الكريمة الخاصة بأصحاب
الكهف وهو (سبعة وثمانهم كلهم).

إنها قصة تستحق أن تقرأ، لكاتب يستحق منا الدعاء
بالرحمة والمغفرة لما قدّمه للناشئة والشباب من قصص إسلامي
هادف يغطي ثغرة يجب أن تغطي في هذا الوقت بالذات أمام
طوفان الأدب الرديء الذي لا يبني فكراً أو يصقل ذوقاً، فرحم
الله المؤلف، ونفع بإنتاجه القراء الأعزاء، وآخر دعوانا أن الحمد
لله رب العلمين .

رضوان دعبول

الفصل الأول

المدينة المفقودة

رَفَعُ

عبد الرحمن التَّجَدِّي
السُّلَيْمِيُّ
www.moswarat.com

١

بعد أن قطع مسافة ليست قصيرة وقف . وتلفت

حوله..

استدار إلى الخلف.. إلى اليمين .. إلى الشمال.. وبقي
لحظات ناظراً مفكراً.. ثم عاد إلى الجهة الأولى..

ما هذا؟

كيف لم يتبه إلى التغيير المفاجئ الشامل في كل ما

حوله!

هذه الأرض كانت جرداء.. غرباء.. ميتة.. لا أثر فيها

للعشب.. ولا للشوك .. ولا ..

كان الراعي يترك زوجته ماوية، ويذهب بالغنم بعيداً..

بعيداً .. إلى شعاف الجبال .. طلباً للكأ.

لقد دبت الحياة في ما يحيط به.

الحقول خضراء زاهية..

والشمس تدفع برفق غيمة كانت تحجبها، فتطل
بوجهها الأحمر الضاحك..

وفراشات صغيرة تهفف بأجنحتها الملونة..

وطيور كثيرة .. صاعدة هابطة..

وعصافير تملأ الروض بحركتها وشقشقتها..

ونسيم بارد يدفع العشب النامي برفق بالغ!

رفع يده اليمنى إلى جبهته يفرحها .. كانت تحلي يسده

أسورة من الفضة.. كان حاسر الرأس .. يسترسل شعره الأسود
على كتفه.

واصل سيره نحو المدينة .. راح يردد مع نفسه وقد انبهر

بما رآه:

- سبحان الله.. سبحان الله .

هذا طائر النغير يمر من قربه للمرة الثالثة.. كأنه لا يريد

أن يفارقه.. وتخلصت الشمس من الغيمة وارتفعت في السماء

نشطة وقد زالت عن وجهها حمرة الكسل، وغمرت بضياؤها

الروض الزاهر.

في هذا المكان .. الذي وصل إليه الآن.. وأمام هذا
المرتفع الذي ينهض على يمين الطريق. كان كوخ الراعي ..
وشجرة كبيرة ليست مثمرة تقف إلى جانبه كأنها تحرسه.. أو
تظله!

ولكن لا أثر للكوخ.. ولا للشجرة!!

ماذا لو سأله الراعي عن زوجته.. عن كوخه .. عن
غنمه بماذا يجيب؟!

هفَّ النغير ذو المنقار الأحمر من أمامه ، كأنه أراد أن
يلفت نظره إلى التل الأسود الرابض على يسار الطريق.. رأى
أطفالاً يتدافعون .. يتسابقون للصعود عليه.. وأمام التل جلس
رجل وامرأة يأكلان طعاماً وضع على منديل أمامهما .. أشار
بيده يحييهما، فنهض الرجل وصاح:

- تفضل .. كل معنا .

فاعتذر بأن رفع يده اليمنى ووضعها على رأسه.

هذا التل الأسود لم يكن بهذا الحجم!! كان جبلاً صغيراً
أسوداً أجرداً تنتشر عند سفحه مغارات صغيرة لا يقترب منها
أحد لا سيما في الليل خوفاً من القطط البرية

ماذا حدث؟

هل تبدلت الأرض غير الأرض؟
هل يمكن أن يتبدل كل شيء في يوم واحد؟!
في ليلة واحدة؟!

لاشك أنه ليس في حلم..
الأحلام لا تكون بهذا الوضوح..
سمع ضحكة ناعمة وراءه..

التفت بسرعة!

رأى رجلاً طويلاً أَسْمَرَ.. تجاوز الخمسين من العمر ..
يسير وهو يدندن بصوت خفيض، وقد أمسك بجبل ينتهي طرفه
إلى حمار أبيض ركبه ثلاثة أطفال يرتدون ثياباً بألوان مختلفة.
كانت الضحكة الناعمة الحلوة قد صدرت من الطفل
الصغير ذي الثوب الأحمر كان الأطفال ينظرون إليه بود وألفة.
سلم عليه الرجل الطويل الممدود بإشارة من يده ..
وبصوت خفيض غير مسموع .. وسلم الأطفال مشيرين بأيديهم
.. مع ابتسامة ونظرة حبيبة إلى النفس.

رأى من الأفضل أن يسير معهم .. شعر بشيء يشده
إليهم ويقربه منهم .. إضافة إلى أن سيره معهم لا يلفت إليه
الأنظار.. أما إذا سار وحده.. فقد تنتبه إليه العيون !!
يحيط بالمدينة سور كبير، يرتفع عن الأرض عشرين ذراعاً
.. وخارج السور توجد أكواخ الفقراء من الناس .. بيوت
صغيرة قدرة ، ومياه آسنة، وأطفال عراة، وكلاب سائبة، وقطط
نافقة على أكوام من القمامة!..

في هذه البيئة يتخرج اللصوص ، وقطاع الطرق
وأصحاب الحيلة والخديعة.. وبمؤلاء أيضاً.. تتدرع المدينة ضد
الغزاة والمعتدين.. وتقذفهم بلا حساب طعاماً للسيوف .. لكي
ينعم السادة والمترفون وأصحاب النفوذ داخل المدينة بالعيش
الرغيد!!

سمع كلباً ينبح ..

على يمين الطريق .. وعلى مسافة ليست بعيدة رأى
رجالاً يعملون.. يزرعون أو يحصدون.. كان العشب يحول بينه
وبينهم فلا يراهم بوضوح .. معهم عدد من النسوة .. ومعهم
كلب يسمع نباحه ولا يراه!.

أحس بحركة قريبة منه .. رأى رجلاً تبدو عليه مظاهر
الثراء يمتطي جواداً أدهم .. عندما حاذاه الرجل أطال النظر إليه ..
ثم سلم عليه بإشارة من يده .. وراح يتكلم مع صاحب الحمار ..
ثم التفت إليه وقال:

- هل تريد أن أحملك إلى المدينة ؟

هز رأسه شاكراً وقال :

- بل أحب أن أذهب إليها سيراً على قدمي.

ابتعد الفارس قليلاً ، ثم وقف .. لعله أراد أن يقول شيئاً ..
أراد أن يلوي عنان جواده ليعود .. لكنه عدل عن ذلك ..
ومضى لسبيله .

بعد قليل سيشرف على المدينة .. عندما يصعد على هذا
المرتفع من الأرض سيرها .. ستصل إلى أنفه رائحة المياه الآسنة
.. إنها ليست صالحة للشرب ولا للغسل ، ولا لشيء يصلح
للإنسان !! وستطالعه بيوت الفقراء .. إنها عبارة عن قبور كبيرة
يحتمي بها هؤلاء الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئاً !!
أسرع في سيره فبلغ المرتفع قبل أن يبلغه الرجل الصامت
مع حماره وأطفاله .

لا .. لا

إنها ليست مدينته!!

هذه صغيرة جميلة تمتد بشكل أنيق رائع!!
أشجار الزينة تزيدها جمالاً..

لا..

لا أثر للأكواخ الصغيرة الحفيرة ..

ولا للناس الفقراء الذين لا يجدون ما يستر عوراتهم!
ولا للكلاب الكثيرة السائبة ..

ولا للأطفال العراة الذين يسبحون في المياه القذرة!!
أيمكن أن يجري كل هذا التحول في يوم؟!
في ليلة واحدة؟!

إذا لم تكن هذه مدينته.. فأي مدينة هذه؟!

لم يطل به التأمل ، فقد لحق به الرجل وحماره وأطفاله

الثلاثة..

قال صاحب الحمار:

هل زرت مدينتنا هذه من قبل؟

بماذا يجيب؟

هل يقول له إنها مدينته التي خرج منها بالأمس؟ ..
إنه لا يستطيع .. لأن كل ما حوله قد تغير ..

أيمكن قد جاء إلى مدينة أخرى؟! !!

أضاف صاحب الحمار :

- أنت ضيفنا هذا اليوم .

أيد الأطفال الثلاثة قول والدهم:

- نعم .. أنت ضيفنا .

تبسم وقال :

- أنا ضيفكم .. ولكن لمدة قصيرة .

لم يعد الطائر الصغير ذو المنقار الأحمر يتبعه .. ارتفعت الشمس في السماء ، ودبت الحركة في كل شيء .. كان الرجال يرتدون ثيابا تختلف عن ثيابه .. كانوا يضعون غطاء على رؤوسهم .. كانت ثياب النساء تختلف عن الثياب التي يعرفها .. كانت لهجة الناس تختلف عن لهجته . رأى بعض الناس يشيرون إلى ثيابه من طرف خفي!

مضى يسير بحذر .

إنه يريد أن يعرف أين يقف ..

أين ذهبت مدينته؟!

الشوارع تبدو نظيفة .. والبيوت هادئة محترمة.. مبنية
بحجارة جيدة وبعناية فائقة .. كان بعضها يبدو وكأنه صبغ
بالحناء.. وإلى جانبها بيوت بيضاء.. وأخرى بلون التبن القديم .

قال بصوت خفيض كأنه يتحدث نفسه :

- المدينة التي أعرفها .. والتي أبحث عنها.. كان لها سور
كبير مرتفع.. له بوابة كبيرة تفتح في الصباح وتغلق عند المساء
.. وراء السور بيوت فقيرة وأكداس من القمامة ..

وقاطعة الرجل :

- لا توجد

- ما التي لا توجد ؟

- لا توجد مدينة بهذا الوصف .

قال الطفل الكبير .. وهو يشير بيده :

- هناك بيتنا.

- ذاك الذي على ناصية الشارع ؟

- إنه إلى يمينه .. ليس تماما .. إلى يمينه في الداخل .

أضاف بعد قليل :

- سور المدينة وراء البيوت .

- أين؟

أشار الأطفال الثلاثة بأيديهم :

- هناك

- فهذه البيوت خارج المدينة ؟

- نعم .

كان الطفل الكبير يبدو في العاشرة من عمره.. يرتدي ثوباً معلماً بخطوط داكنة .. كان حنطي اللون ، مدور الوجه قصير الأنف ، مهمل الشعر .. عسلي العينين ، كثيف شعر الحاجبين .. صحيح الجسم .. لا تفارق شفثيه ابتسامة أليفة حلوة.

قفز من فوق الحمار وهو يقول :

- ها قد وصلنا .

وتدلى الطفل الثاني .. وكان أصغر من الأول بسنتين ..، وانطلق راكضاً نحو البيت . وراح الطفل الصغير يحرك يديه كالفرخ وهو يصيح:

- أنزلوني .. لا تتركوني وحدي .. أنزلني يا أبي ..!
فحملة أبوه وحطه على الأرض .. فانطلق يركض وراء
أنحويه ..

وتبسم الرجل وهو ينظر إلى ضيفه، وأشار بيده يدعوه :
- تفضل.

بسط الملك ذراعيه وهو ينهض ، مستقبلاً ومرحباً
بصديقه القديم العزيز:

- أهلاً.. أهلاً.. أبا مُجدّ.. أين كنت يا رجل .. أين
كنت ؟

تقدم الإسكندري وهو يهف بخطى سريعة، واعتنق الملك
وهو يقول :

- السلام على مولاي الملك .

ثم قال بعد أن قبّل الملك من جبينه :

- كنت قد أخبرتك يا مولاي قبل أن أسافر إلى الإسكندرية .

قال الملك ، وهو يشير إلى صديقه بالجلوس قريبا منه :
- اجلس .. اجلس .. وحدثني بكل شيء .. بكل ما امتلأت به جعبتك من حكايات وأخبار ونوادر .. أخبرني يا أبا مُجدد.. متى قدمت ؟

- اليوم .. الساعة يا مولاي .

- ولم تذهب إلى بيتك بعد ؟

- رأيت أن أمثل بين يديكم قبل أن أذهب .

رفع الملك يده اليمنى معترضاً :

- لا .. لا .. كان عليك أن تذهب إلى بيتك .. فترتاح

.. ثم تأتي بعد ذلك.

- راحتي في أن أسعد بلقائكم يا مولاي .

كانت القاعة التي يجلس فيها الملك كأنها مدورة كثيرة النوافذ تتدلى الستائر الخضراء الموشاة بخيوط الحرير عليها .. في صدر القاعة كرسي من الخشب المنقوش يجلس عليه الملك .. وعلى جانبه الأيمن يجلس الوزير ، وعلى جانبه الأيسر يجلس قائد

الجند .. وبعدهما على الجانبين يجلس عدد من رجال المملكة من ذوي السن والمكانة لإبداء الرأي والمشورة اللازمة.

عاد الملك إلى صديقه:

- حدثنا بشيء مما في جعبتك ثم اذهب إلى أهلِكَ
راشداً.

- ليس لدي الكثير يا مولاي .. إلا ما كان من صاحب الإسكندرية .

- حدثنا عن صاحب الإسكندرية .

اعتدل أبو مُجدِّ الإسكندري في جلسته وقال :

- أراد صاحب الإسكندرية أن يخلو إلى نفسه مدة شهر واحد.. فصرف الخدم والأتباع ومنع الزيارات. . . .

- عجباً . ويترك أمور الناس!؟

- إنما أراد يا مولاي أن يتنكر ويتزل إلى الناس فيطلع على أحوالهم بنفسه.

- رأي صائب.

هز الوزير رأسه .. وكان نحيفاً أبيضاً .. حليق اللحية ..

بشارب رفيع أشقر وقال:

- نعم .. نَعَمَ الرأي .

مضى الإسكندري في حديثه:

- في اليوم التالي خرج متنكراً في زي رجل من عامة الناس ورأى أن يذهب إلى خادمه الرومي المخلص الكتام طريفوس فيأخذه معه .

كان الحاكم قد عرف منه أين يقيم .. وهو الذي أحضر للحاكم هذه الملابس التي يرتديها .. وقد وجد معها خاتماً من الفضة أراد أن يعيده إليه .

عندما وصل إلى الحي الذي يقيم فيه سأل أحد المارة عن بيته .. فأجابه الرجل :

- الوزير ؟

- إنه على ما أعلم خادم الحاكم .

ضحك الرجل ساخراً من معلوماته القديمة وقال :

- كان خادماً .. أما الآن فهو وزير الحاكم الخاص .

ثم أشار بيده :

- هذا بيته ..

اتجه الحاكم إلى البيت الذي أشار إليه الرجل .. وهو
يتعجب مما سمع. رأى رجالاً يدخلون البيت بلا استئذان ..
فدخل معهم .. فماذا رأى ؟

- ماذا رأى؟

نطق بها قائد الجند .. وقد أخذه حديث الإسكندري
كل مأخذ.

- ماذا رأى؟

- رأى خادمه المخلص جداً، والأمين جداً، الساكن
الصامت الكتامة .. جالسا على أريكة في صدر البيت، وقد لبس
ثوباً فضفاضاً أبيضاً .. وراح يتكلم بكثير من الكبرياء ويقول :

- نحن قررنا أن نخلو إلى أنفسنا مدة شهر .

سأله رجل .. قصير نحيف قد احتبى بردائه :

- لماذا؟

نظر إليه الخادم غاضباً :

- جهلة ..

وحرّك يده اليمنى بشكل دائري كالمتعجب :

- أتريدون أن أفسر لكم كل كلمة أقولها .. ؟

كان الخادم يتكلم بلهجة تشبه لهجة الحاكم .. كان يحاول أن يقلده في الصوت والحركة والإشارة .. والرضى والغضب .

كان عدد الرجال الذين حضروا مجلسه كبيراً .. ربما يتجاوز الثلاثين رجلاً .. كانوا يجلسون على الأرض ، ينظرون إليه بإعجاب .. وقد اندسّ الحاكم بينهم وهو يخشى أن ينظر إليه الخادم فيعرفه .

صاح طريفوس :

- يا غلام .

حضرت امرأة سمراء مهملة الثياب .. شعرها أسود مفلفل .

- نعم يا مولاي .

- قدمي لضيفونا عشاءً .

- سمعا وطاعة يا مولاي .

ذهبت المرأة .. وهي تلقي على الحاضرين نظرة عابرة .. كان يتحدث وهو رافع الرأس ، شامخ الأنف ، كأنه يخشى أن تواجهه العيون بما يكره .

عاد الخادم يتحدث :

- دعاني الحاكم فقال : إنني أشعر بالتعب من مواجهة

الناس ..

فماذا ترى؟

قلت : عليك أن تخلو إلى نفسك مدة شهر واحد

فترتاح.

فأخذ بنصيحتي وأعطاني خاتمه لكي أمضي الأمور

المستعجلة .

وأخرج الخادم من تحت الوسادة خاتماً وقال :

- انظروا .. هذا خاتم الحاكم .. لا يصدر أي أمر ..

أي عمل .. ولا ينفذ إلا إذا ختم بهذا الخاتم ..

وأشار بيده إلى صدره:

- وأنا الذي أختمه .

سكت قليلاً .. ثم تنحنح .. ثم أضاف بكبرياء :

- إذا شئت!!

ثم مدّ يده بالخاتم إلى اقرب رجل .. ومال بجسمه وقال :

- انظره .

أخذه الرجل فنظره وقلبه وأعطاه إلى الرجل الذي إلى
جانبه .. ثم إلى الآخر .. والآخر .. حتى وصل إلى الحاكم .
دهش الحاكم !!

إنه خاتمه الذي ضاع منه قبل عامين .. وظن أنه سقط
منه في النيل !!

أخذ الحاكم الخاتم وأبدله بكل خفة بالخاتم الذي وجده
في الثياب، ولما وصل إلى الخادم أخذه ووضعته تحت الوسادة دون
أن ينظر إليه .

عاد الخادم فصاح:

- أيها الغلام ..

حضرت امرأة أخرى .. قصيرة نحيفة بيضاء .. شدت

شعرها بشريط من الحرير .

- نعم يا مولاي .

- أين العشاء؟

- إنهم لا يريدون يا مولاي .. لقد تناولوا العشاء في

بيوتهم .

- أحضروا نبيذاً .

طرح الحاكم جانب الحذر وسأله :

- ما وظيفتك عند الحاكم ؟

- وزيره الخاص .

قالها بسرعة .. ودون أن يلتفت . ثم اعتدل في جلسته

وواجه الرجال وقال بصوت خفيض :

- إنها وظيفة لا يريد الحاكم أن يعلم بها أحد من الناس

إنه لا يبرم أمراً ، ولا ينفذ عملاً .. ولا يرسل كتاباً . . . إلا بعد أن أبادي فيه برأي .

- فأنت مستشاره الخاص .

- بل وزيره الخاص

قالها بقوة وغضب وهو ينهض واقفاً :

- متى تتعلمون ؟ !

عاد الحاكم تلك الليلة وهو يضرب كفاً بكف .. إذا

كان هذا الخادم .. الذي ليس له شأن .. والذي ظن أنه آخر من

يخونه .. أو يكذب عليه .. قد سرق الخاتم .. وقام في حيه

يتحدث وكأنه الحاكم .. بل أعلى سلطة من الحاكم .. فكيف

بغيره وغيره وغيره!!؟

سكت الإسكندري ، وراح ينظر إلى تأثير كلامه في الحاضرين .

كانوا متلهفين إلى سماع بقية الحديث ..

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

- ماذا فعل الحاكم ؟

أجاب الإسكندري :

- رأى أن يطوف على رجاله أولاً .. ليرى كيف

يتصرف كل منهم في غيابه .

- فماذا رأى ؟

- رأى كل العجب ..

لم يعرفه منهم أحد ..

رأى الإهانة والطرْد والضرب .. والدفع .

رأى الخيانة والرشوة والمحسوبية ..

رأى الظلم ضارباً أطنابه في كل مكان !!

وعندما قال لصاحب الشرطة :

- سأشكوك إلى الحاكم .

صرخ في وجهه بكل وقاحة وقال :

- إذا جاء الحاكم فسأضعه في السجن !!
هتف قائد الجند:

- لم يعرفه أحد منهم ؟

- أبداً ..

ثم استدرك الاسكندري فقال:

- بل عرفته امرأة .. كانت قد قابلته مرة .. رجته أن

يطلق سراح ابنها من السجن .. رآته في الطريق فصاحت:

- سيدي الحاكم

وعادت تعرض عليه قضية ولدها :

- إنه بريء .. ثق يا سيدي إنه بريء.. ابن صاحب

الشرطة اعتدى على الرجل بالضرب حتى مات تحت يده .. فلم

يلبثوا حتى اتهموا ولدي لأنه كان قريباً من الحادث ، وشاهده

بعينه .

طمأنها الحاكم وقال :

- سأطلق سراح ابنك غداً .

- قبل نهاية الشهر ؟

- لا .. كان ذلك في آخر يوم من الشهر .

راح الملك يردد بصوت خفيض:

- ويل للحاكم من بطانة السوء .. ويل للحاكم من

بطانة السوء . قال الإسكندري وقد سمع كلام الملك :

- إذا صلح الملك صلحت بطانته يا مولاي .. فإنما يجلب

إلى السوق ما ينفق فيها .

- صدقت .. ولكن يبقى الملك في مقام المسؤول الأول

أمام الله

- إذا كان الملك صالحاً، عادلاً ، رحيماً ، رفيقاً بشعبه

.. لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يضعهم إلا على الطريق الذي

يحببه الله .. فإنه إن شاء الله سينال منزلة في الجنة .

تنهد الملك بحرارة وقال :

- إن الملك الذي يسير أمام الناس في الدنيا .. أخشى أن

يسير وراءهم يوم القيامة .

- الملك الصالح لا يكون كذلك يا مولاي .

- وأنى لي أن أعرف إن كنت صالحاً؟!!

دخل الحاجب .. طویل القامة .. ضخم الجسم .. ضخم

الصوت .. أنيق الملبس .. يحمل سيفاً قصيراً :

- رجل ؟

- نعم

- اعتدى عليك ؟

- لا .

- اعتديت عليه ؟

هز رأسه :

- تطلبه في حاجة ؟

- لا

- قريك ؟

- لا .

تركه الملك لكي يستعيد رباطة جأشه ، والتفت إلى

الإسكندري :

- كيف حال زوجتك؟

- أية زوجة يا مولاي ؟

- ألم تقل في المرة السابقة أنك تزوجت ؟

هز الإسكندري رأسه بأسف وقال :

- ماتت يا مولاي .

ضرب الملك بيده على الكرسي :

- أيضاً..؟!!

ثم أضاف :

- لا بد أنها كانت كبيرة في السن .

- بل صغيرة .. أصغر من سابقتها بست سنوات .

- قل غير هذا يا أبا مُجدِّ؟

- كانت يا مولاي ما تشاء من خلق وعبادة وأدب .

- تشبه زوجتك السابقة .

- بل أكثر تدينا وخلقاً .

- سبحان الله ، وماذا عن الجديدة ؟ .. لا تقل أنك لم

تتزوج .

- بل تزوجت يا مولاي .

- ذات دين وخلق وعبادة وأدب ؟

- لا يا مولاي .

- لا .. ؟!

- إنها ساذجة .. غبية بلهاء .

- يا رجل .. يا رجل .. إتق الله .

- كما أقول يا مولاي .. لا أهتمها ولا أبغي عليها .
- ضحك الوزير وقال :
- كيف اخترتها إذن ؟
- كنت أعرف أباهما .. رجلا مؤدبا ذكيا عاقلا ..
- فظننت أن ابنته مثله !! لا سيما وأنها كانت كبيرة ..
- ربما أكبر مني بسنة أو سنتين .
- قال قائد الجند ضاحكاً :
- لا تحزن .. فإنك عندما ستعود إليها لن تجدها .
- لماذا ؟
- لأنها ستكون قد غادرت الدنيا .
- اللهم آمين .
- التفت إلى الرجل الجالس كالتمثال :
- ما شأن الرجل الذي جئت تخبرنا عنه ؟
- غريب .
- رجل غريب .. المدينة يدخلها غرباء كثيرون .
- ليسوا مثله .

قال الوزير ، وهو يحرك نفسه قليلا على الكرسي ،

ويشير بيده :

- لقد أراد يا مولاي أن يخبرنا عن رجل غريب .. لفت

نظره بشكله وزيه وهيئته .

هز الرجل رأسه وقد انطلق لسانه :

- نعم يا مولاي .. شكله وزيه وهيئته .

تنحنح الإسكندري ثم قال :

- أظن أنني رأيت الرجل .. كان يرتدي ثوبا أبيضاً .

كرر الرجل الكلمة الأخيرة مردداً :

- أبيضاً .

- وفوق الثوب ما يشبه المعطف مصنوع من القطيفة

الحمراء

- حمراء .

- كان يحلي يديه بأسورة من الفضة .

- فضة

- وكان يرتدي ..

قاطعها بسرعة:

- نعم يا مولاي .. كان يرتدي .

التفت الملك إليه :

- ماذا كان يرتدي ؟

تغير وجهه .. وتلعثم .. ثم قال :

- لا أدري يا مولاي .. هو قال : وكان يرتدي .

ضحك الملك والحاضرون .. وبقي الرجل ساكتا جامدا

كأنه ارتكب ذنباً .

قال الإسكندري :

- أنا رأيت الرجل يا مولاي .. كانت تبدو عليه

الصباحة والوضاءة والوجاهة .

- لا بد أن يكون سفيرا لأحد الملوك .

قال الوزير ذلك وهو ينهض .

أجاب الإسكندري :

- كان يسير على قدميه .

- لعل حصانه قد هلك في الطريق؟

سأله الملك :

- هل كلمته ؟

- أجل يا مولاي .. أردت أن أوصله إلى المدينة
فاعتذر.

- فأنت رأيتَه خارج المدينة؟

- نعم يا مولاي .

أضاف الإسكندري :

- كان يتكلم لغتنا .. ولكن لهجته تختلف .. أنت تعلم يا

مولاي .

قال الوزير :

- ما كان عليك أن تدعه يذهب يا أبا مجدّ .

قال الرجل .. وقد فتح كفيه وطبقهما الواحدة على

الأخرى وحصرهما بين ركبتيه :

- أنا أعلم أين نزل .

ثم أضاف وهو ينظر إلى الملك :

- نزل عند رجل اسمه سلمى .

- اسمه سلمى؟! .. رجل اسمه سلمى!؟

- نعم يا مولاي : إنه مزارع طيب .. توفيت زوجته

وتركت له ثلاثة أطفال .

التفت الملك إلى الإسكندري وقال :

- أرى يا أبا مجدّ ، أن تأخذ هذا الرجل معك ، وتذهب

إلى بيت المدعو سلمى وتأتي بالغريب لننظر ما شأنه .

- سمعا وطاعة يا مولاي .

كان المدخل الخارجي للبيت بلا باب .. بينه وبين الباب الداخلي فسحة تركت للحمار .. دخل الوالد ففتح الباب ثم أشار إلى ضيفه أن ينتظر قليلاً .. فأصلح من شأن البيت بسرعة يعاونه أطفاله .. ثم دعاه .

أسرع الطفل الكبير فأخذ بيده إلى الداخل .. وصار الأطفال يتقربون إليه أكثر .. كانت الابتسامة الحلوة المرححة لا تفارق وجوههم وهم ينظرون إليه .
قال الكبير :

-أنا اسمي عبد الله

ارتسمت على وجه الضيف دهشة ممزوجة بفرحة .

-اسمك عبد الله ؟

-نعم .. أبي اسمه سلمى .

-وأمك ؟

-ماتت ..

أجاب الأب من مكانه وهو يحاول إعداد شيء من

الطعام . وقد هز هز الطفل رأسه :

- إنها ماتت .

أشار الضيف إلى الطفل الثاني بالسبابة :

- وأنت يا رجل .. ما اسمك ؟

- عبد الله إبراهيم .

- عبد الله أم إبراهيم ؟

-عبد الله إبراهيم .

- وأنت أيها الصغير .. اسمك عبد الله أيضا؟

هز الطفل رأسه دون أن يتكلم .

- اسمك عبد الله ؟

- عبد الله سالم

- فأنتم أسرة مؤمنة بالله .

تمتم الأب بصوت خفيض :

- الحمد لله .

حمل الوالد الطعام في إناء من الفخار وقربه :

- كلوا .. بسم الله .

قال الضيف .. وهو يرفع قطعة من الخبز إلى فمه :

- فأنتم العبادلة

ثم سأل بصوت خفيض :

- ألا تخافون الملك ؟

رفع سلمى رأسه عن الطعام ونظر إليه مستغرباً .. ثم عاد

إلى الطعام دون أن يجيب ولكن الطفل الكبير أجاب :

- لا

- فأنتم أبطال .. ولكن عليكم بالحدز

- لماذا؟

- لأن الملك يقتل الناس الذين ليسوا على دينه .

في هذه اللحظة سمع طرق على الباب .

- سلمى ..

نفض الأب وهو يمسح فمه ويديه :

- نعم .

- سلمى .

ذهب إلى الباب بطيئا متثاقلا ، وفتحته وخرج .. وبعد

لحظات عاد وهو يقول :

- أرسل الملك يطلبك .

هتف الشاب وهو ينهض فزعا ومنفعلا :

- أنا ؟

- نعم .

تلفت حوله كأنه يبحث عن شيء وقال :

- هل يوجد باب للخروج غير هذا؟

نفض الطفل الكبير وهو يمسح يده بثوبه وقال :

- من هنا .. تعال .. في الجهة المقابلة .

التفت الشاب إلى سلمى وقال راجيا:

- لا تفتح الباب .. ولا تخرج إليهم .. حتى أكون قد

ابتعدت .. أرجوك.

- لماذا ؟

- افعل ما قلته لك .

- أفعل .

ركض عبد الله بثوبه المعلم بخطوط داكنة أمامه .. وأزاح
عن موضع من الجدار المقابل أحجارا وأكياسا حتى ظهر باب
صغير منخفض ، استطاع الشاب أن يخرج منه بصعوبة .. وتبعه
الطفل إلى الشارع الخلفي .. فودعه بعد أن شد على يده ..
ومضى الشاب وعينان عسلتان لطفل في العاشرة من عمره
تتبعانه .

عاد عبد الله ، فأغلق الباب ، وأعاد الأحجار والأكياس
وراءها .. وبقي سلمى واقفا لحظات وهو لا يستطيع أن يفسر
السبب الذي هرب الفتى من أجله!!

طرق الباب مرة أخرى .

- سلمى .. أين ذهبت يا رجل .

تحرك الأب نحو الباب بخطوات قصيرة متأنية .. ثم فتحه:

- نعم .

قال الإسكندري :

- هل قلت لضيفك أن الملك يطلبه ؟

- نعم .

- هل سيخرج ؟

- لا .

- لماذا ؟

- لأنه هرب .

- هرب ؟.. لماذا ؟

- خافكم .

- خافنا ؟

- نعم

- لماذا خافنا ؟

- لا أدري

- هل عرفت اسمه ؟

- لا .

صاح الإسكندري وقد نفذ صبره :

- ألا تستطيع أن تجيب بأكثر من كلمة ؟ تكلم يا رجل

- ماذا أقول ؟
- كل ما تعرف .
- ماذا أعرف؟
- من أين جاء .. وماذا يريد .. ومن أي بلدة هو .. ؟
- تكلم .. بالله عليك .
- إنه يخاف الملك .
- لماذا ؟
- قال إن الملك يقتل الناس الذين ليسوا على دينه
- من أين جاء ؟
- رأيناه في الطريق فانضم إلينا .
- إلى أين يريد؟
- لا أدري .. لم يقل ..
- ثم أضاف كأنه تذكر شيئاً:
- إنه .. إنه ..
- استحثه الإسكندري :
- يا سلمى تكلم .. أرجوك .
- إنه ..

- نعم ..
- أظن ..
- ماذا تظن .. ماذا تظن يا رجل .. ماذا تظن ؟
- أنه من أولاد الملوك .
- أريد أن أسأل الأولاد عنه .
- تفضل .

٤

-لقد هرب يا مولاي .

-الغريب ؟

-نعم .

-لماذا ؟

سأل الملك بكل اهتمام .. وارتسم السؤال على عيون

الحاضرين ولامس شفاههم .

-لماذا هرب؟

-عندما سمع أن الملك قد أرسل في طلبه خاف وهرب..

فهو متهم .. أو مدان .

قال رجل كبير كان جالسا مغمض العينين كأنه نائم:

-لعله مر بظروف صعبة جعلته لا يثق بالناس .

قال الإسكندري وهو يحاول أن يشرح الموقف:

-لقد ذكر سلمى كلمة غريبة :

قاطعته الملك :

-قل أية كلمة؟

-قال الغريب .. إن الملك يقتل الناس الذين ليسوا على

دينه .

-فهو من بلد يحكمه ملك ظالم !

هز الإسكندري رأسه :

-هذا ما تبادر إلى ذهني يا مولاي .

أضاف الإسكندري :

-ولكن زيه .. زيه يا مولاي يختلف عن زينا . . . ولا

يشبه زي أي من البلاد التي تجاورنا .

-فهو من بلد بعيد .

استدرك الملك فقال :

- لكنك قلت إنه يتكلم لغتنا .

- نعم .. ولكن لهجته تختلف قليلا عن لهجتنا .

- لا بد من العثور عليه لنعلم منه جلية الأمر .

تذكر الإسكندري شيئاً فقال :

- عندما سأل العبادلة عن أسمائهم .. قال : فأنتم أسرة

تؤمن بالله

- من العبادلة ؟

- أولاد سلمى .. عبد الله .. وعبدالله إبراهيم .. وعبد

الله سالم ..

التفت الملك إلى جلسائه :

- ماذا ترون !؟

تحفز رجل قصير كان يجلس إلى جانب الرجل المغمض

العينين كالنائم وقال :

- إنه هارب من بلد يحكمه ملك كافر .

- لكنه وصل إلى بلد مؤمن يحكمه ملك مؤمن .. فمم

يخاف !؟

ظلت علامة الاستفهام الكبيرة تدور على وجوه
الحاضرين دون أن يجدوا لها جواباً .

تنحنح الوزير .. واعتدل على كرسيه ثم قال :

-إننا لا نستطيع أن نجزم بشيء حتى يقف الرجل الغريب
بين أيدينا، فنسمع منه كل شيء.

أجاب قائد الجند :

-وإذا كان الغريب قد هرب؟

-إنه ما زال داخل المدينة .. وعلى جنودك العثور عليه .
أطرق الملك ملياً .. ثم رفع رأسه بعد أن ساد صمت
طويل ووجه كلامه إلى قائد الجند :

-مر رجالك بأن ينتشروا بين الناس .. فبينوا لهم صفة
الغريب ..

كل رجل .. وكل امرأة .. وكل أحد .. لديه أية
معلومات عنه .. يأتي إلى هنا للإدلاء بها .. وبلا تأجيل .

نهض قائد الجند .. وكان طويلاً جسيماً .. على الجانب
الأيمن من جبهته أثر ضربة بسيف . وخرج بعد أن عدل هندامه
وقال بصوت خفيض:

-أمرك يا مولاي .

ثم التفت الملك إلى الإسكندري وقال:

-اذهب الآن إلى أهلِكَ .. وعد إلينا بعد أن تأخذ قسطاً

من الراحة..

-بل سأبقى يا مولاي . . . أريد أن أرى نهاية هذا

الحادث الغريب.

* * *

الفصل الثاني

الشهود..

١

ضرب الملك على قبضة الكرسي بيده وقال منفعلًا:
- ما كان علي أن أصدر مثل هذا القرار . . . رجل
غريب دخل إلى مدينتي لاجئًا . . يريد الأمان .. أرسل وراءه من
يبحث عنه يخيفه أكثر؟!!!

ثم نظر إلى الرجال عن يمينه وشماله :
- وأنتم .. أما كان الأجدر بكم أن تشيروا علي بقرار
غير هذا؟!!

تحرك الرجل القصير الذي كان يجلس إلى جانب الرجل
المغمض العينين وقال:

- ليس في قرارك ما يعيب أيها الملك .
- أنت .. أنت قلت بنفسك : إنه هارب من بلد يحكمه
ملك كافر.

أياتي إلى بلد يحكمه رجل مؤمن ثم يطارد؟!
- يا مولاي ..
- اسكت ..

لا أريد حاشية تجر نفسها وتجرني معها إلى جهنم !!
أشيروا علي بما ينفع الأمة وينفعني وينفعكم . كيف أستطيع أن
أصل بالسفينة إلى شاطئ السلامة ؟
قال الرجل المغمض العينين :

- أيها الملك .. أرجو أن تنتظر .. فلعل الله أن يجعل
فيما أقدمت عليه خيراً كثيراً .

لم ينتبه الجميع إلى الحاجب الذي دخل وقال :
- رجل لديه ما يعرفه عن الغريب يا مولاي .
- أدخله .

- السلام على مولاي الملك ..
أنا يا مولاي رأيت الغريب .. كان .. .
وراح يتكلم بسرعة ، وبلا فاصلة ، كأنه يخشى أن
ينسى كلمة .. أو تفوته كلمة .. أو تعترضه كلمة !!
أشار الملك بيده :

- اجلس .

- نعم يا مولاي .. إنه .

- اجلس .. تريث .. ثم قل ما عندك بمدوء .

جلس الرجل .. ثم أخذ نفساً عميقاً .. وقال :

- أرجو المعذرة يا مولاي

- هل رأيت الغريب؟

- كيف عرفته ؟

- أين رأيته ؟

أشار الملك إلى جلسائه الذين انهالوا على الرجل

بأسئلتهم:

- مهلا.. مهلا.

ثم التفت إليه وهو يتسهم وقال :

- كيف عرفته ؟

- هو عرفني

ثم استدرك بسرعة :

- هو كلمني .. كان حاسر الرأس .. مضطرباً ..

خائفاً .. سمعته يناديني بصوت خفيض : رجاء .. رجاء ..

تبسم الملك :

- اهدأ يا رجل .. وتمالك نفسك .. نحن نسمعك .

- نعم يا مولاي ..

وضع يده اليمنى على كتفي .. وقادني إلى زاوية على

جانب الطريق .. بعيدة عن المارة ..

أشار الرجل إلى الزاوية البعيدة من القاعة .. وتابع

حديثه:

- همس في أذني قائلاً :

- أين السوق ؟

قلت :

- لماذا ؟

أجابني وهو يتلفت حوله :

- أريد أن أشتري طعاما .
- ثم أضاف متعجباً :
- كيف تغيرت معالم المدينة؟.
- لم تتغير .
- فنظر إلى نظرة صارخة:
- هل كانت بالأمس كالיום؟
- نعم .
- دلني على السوق يا رجاء .. دلني .. فإن معالم المدينة تبدو في نظري وكأنها قد تبدلت .
- أنت خائف؟
- نعم .
- مم؟
- ألا تعلم بما حدث؟
- ماذا حدث؟
- أرسل الملك جنوده للقبض علينا فهربنا .
- ماذا حدث؟
- أرسل الملك جنوده للقبض علينا فهربنا .

-ملكنا؟!!

-نعم .

-الملك الذي يحكم هذا البلد ؟

-من غيره يا رجاء .. من غيره ؟!

-لماذا ؟!

-لماذا أيضا؟! .. ماذا دهاك ؟ .. لقد أرادوا أن يرحمونا

أو يعيدونا في ملتهم فهربنا .

-في ملة الملك ؟

-في دين الملك.

-وماذا في دين الملك .. إنه ملك صالح .

-أنت تقول هذا يا رجاء؟

-نعم .

-كنت أظن أنك معنا.. فأنت على دين الملك إذن؟

-نعم .. أنا على دينه .

ثم تعال أخبرني .. من أنت ؟

فصعق الغريب .. ونظر إلي وهو لا يصدق :

-من أنا ؟ .. رجاء !!

-إنني لا أعرفك .. ولم أرك من قبل .. وأنت تناديني
رجاء وأنا اسمي سيمنس ..

دهش الغريب عندما سمع هذا .. ووضع يده على رأسه
وكان الدنيا قد ماتت به .. وتمتم بصوت خفيض:

أستغفر الله .. أستغفر الله .. أستغفر الله العظيم .

سكت الرجل، وراح يتطلع في الوجوه التي كانت
تستمع إليه بكل اهتمام.

- هذا كل ما حدث يا مولاي.

ثم أضاف:

- الحق يا مولاي .. لقد كان مهيباً .. جليلاً .. صادقاً.

سأله الملك :

- هل رأكما أحد؟

- لا يا مولاي .. نعم يا مولاي .. على مسافة بعيدة

كان أحد الرجال يبيع الخبز .. وأطفال يلعبون .. وفتاة تطرق

الباب على جارهما .. وسنور يعاتب أخاه..

مال الملك بجسمه إلى الأمام وسأله :

- وكيف علمت أنه كان يعاتب أخاه؟

تردد الرجل قليلاً .. ثم حاول أن يقلد صوت السنور:

كان يقول له : ميو.

- فإذا كان يعاركه فماذا يقول له؟

ألقى نظرة سريعة على الحاضرين ، ثم عاد فنظر إلى الملك

وقال :

- يقول له : ميو .

- فما الفرق بين الأولى والثانية ؟

- إذا كانت للعتاب فإنه يقولها بنغمة مهذبة

أما إذا كانت للسباب فإنه يقولها بقوة وعنف .

- فأنت تعلم لغة السنانير

سكت الرجل ..

وتبسم الملك .

وكتم الحاضرون ضحكة كادت تفلت منهم لولا هيبة

الملك .

قال الملك :

- اذهب راشداً.

قبل أن يلتفت الملك إلى جلسائه ليسألهم عن رأيهم ..

أقبل الحاجب وقال :

- هذه امرأة تريد مقابلتكم يا مولاي .

- أدخلها .

يخرج سيمنس مسرعا.. وتدخل المرأة .

امرأة .. بهية الطلعة .. جميلة .. محترمة .. كأنها من نساء
 الملوك .. لا تتجاوز الأربعين من عمرها .. ولكنها تبدو أصغر
 من ذلك بكثير.. بلباس أنيق طويل محتشم ..

- السلام على مولاي الملك .. السلام عليكم جميعا ..

أجاب الجميع :

- وعليك السلام .

أشار الملك إلى الكرسي الذي جلس عليه سيمينس قبل

قليل :

- تفضلي .. اجلسي .

جلست المرأة ..

ثم راحت تتكلم بهدوء .. وسيطرة كاملة على كل كلمة
تقولها.. كانت كأنها تزن كل كلمة قبل أن تقولها .. أو كأنها
وزنتها جيداً قبل أن تأتي.. ثم راحت الكلمات تنحدر من شفيتها
الرفيقتين كأنها اللؤلؤ المنظوم ، فراحت تطرق القلوب قبل الآذان
- أنا رأيت الرجل يا مولاي ..

كنت قد خرجت أناذي بائعة اللبن عندما رأته لفت
نظري زيه الغريب.. فأطلت النظر إليه فظن أني أعرفه.. أو ظن
أنه يعرفني ..

اقترب بخطوات حذرة ، وسلم علي بصوت خفيض ثم
تلفت حوله وقال بصوت كالهمس :

- لا تخشي .. إن ابنك بخير .

أرعبني كلامه .. فهتفت :

- ماذا فعل ابني .. ماذا جرى؟

قال مؤكداً .. ومحدراً :

- لا ترفعي صوتك .. لا تخافي .. إنه في مكان أمين ..

لا تطاله يد الملك.

هتفت مرة أخرى:

- ماذا فعل ابني ؟

قال:

- أو لا تعلمين ؟

- كلا .

- أو لم يحدثك ؟

- أبداً .

- قال لي إنه حدثك بكل شيء .. وأنت على دينه .

- أنا على دينه .. وهل اختار غير الإسلام ديناً؟!!

تلقت حوله .. ثم قال بهمس :

- لا ترفعي صوتك ..

ثم مضى يقول :

- إنه يخشى أن يقبض عليه جنود الملك فيعيدوه في

ملتهم .. أو يرحموه .

لقد هربنا بالأمس .. وبتنا في مكان أمين .

- هل بات ابني معكم ؟

- نعم .

نظرت إليه بارتياح وسألته :

- عنن تتحدث ؟

- عن ابنك .

- ابني بات عندي هذه الليلة .

- الآخر .

- ليس لي غيره .

- ألسن رقيقة .. أم ..

- أنا اسمي ناجية .. أم مسعود .

ذهل الفتى عندما سمع كلامي .. ثم راح يعتذر .

- أعذريني يا سيدتي .. أعذريني .. ما الذي حصل لي

هذا اليوم ؟ ..

أكون مدينتي قد أزيحت من مكانها وحلت محلها

غيرها؟!!

لقد تكلم يا مولاي بكلام مثل هذا لم أفهمه .. أو لم

أستوعبه.

تنهد الملك .. وشكر المرأة .. ثم قال :

- فهو يظن أن هذه مدينته التي خرج منها هارباً ..

من ملك ظالم جائر..

- حاشاك يا مولاي .

- قلت إنه يظن ..

ثم راح الملك يردد بصوت خفيض :

- ملك .. كافر .. ظالم .. جائر .

كان يحكم هذه المدينة بالأمس .

هرب منها الفتى مع إخوان له .. ثم عاد إليها اليوم .

كيف تفسرون هذا ؟

تنحج أحد الحاضرين الجالس على الجهة اليسرى

وقال:

- إن الأمر يعتمد على تفسير كلمة : الأمس .. يا

مولاي .

قال الإسكندري :

- الأمس معناها البارحة .. اليوم الذي سبق يومنا هذا .

قال الملك :

- ومعناها مدة من الزمن لا يعلمها إلا الله .

قالت المرأة :

- ولكن الفتى قصد بالأمس .. اليوم الذي سبق يومنا .

- نعم .

أضاف الملك بعد قليل :

- إنه لأمر محير ..

أذهبي راشدة .. بارك الله فيك .

تخرج المرأة .

٣

- هذه فتاة لديها ما تدلي به عن الغريب يا مولاي .
- أدخلها .

فتاة طويلة رشيقة أنيقة .. دخلت بخطوات وئيدة حية هادئة .

- السلام على مولاي الملك .

- وعليك السلام .

أشار بيده :

- تفضلي .

جلست الفتاة ..

كانت ترتدي ثوبا بلون الورد.. تلف شعرها الذهبي

بقطعة من الحرير الأبيض اللامع .. جلست على الكرسي

وبسطت كفيها على ركبتيها .. ومدت أصابعها المحلاة بخواتم
ثمينة .

قال الملك يستحثها على الكلام :

- هل رأيت الرجل الغريب ؟

- نعم يا مولاي .

- كيف عرفت أنه هو ؟

- إنه يا مولاي ..

واعتمدت في جلستها ورفعت صدرها وراحت تصف

الغريب وكأنها تنظر إليه :

- إنه يا مولاي شاب صبيح مليح .. حسن الثياب زكي

الرائحة .. جيد الكلام .. يسرع أحيانا.

- هل كلمك ؟

- نعم يا مولاي .

- ماذا قال ؟

- كنت أسير مع صاحبي .. فتاة تسكن في محلتنا اسمها

سحابة .. عندما أسرع ورائي وراح يناديني بصوت اجتهد أن

يكون خافتاً:

- صحيفة؟

- صحيفة؟

- هكذا ناداني يا مولاي .

- أنت اسمك صحيفة ؟

- أنا اسمي درة

- أنت اسمك درة .. ولكنه ناداك صحيفة؟

- لقد ظن بأنني ابنة عمه .

- قفي يا صحيفة.. قفي .

ثم قبض على يدها وقال :

-لمَ لم تلتفتي إلي .. دعي هذه الفتاة تبتعد ..

أريد أن أحدثك على انفراد ..

أتظنين أنني أنا الذي وشيت بأخيك عند الملك ؟

أنا لم أر الملك طيلة حياتي..

- اترك يدي .. اترك يدي ..

- ليس قبل أن تعرفي حقيقة ما حدث..

جاركم اليهودي هو الواشي..

- اترك يدي .

- أنا أشي بابن عمي .. بأخي .. إنه على ديني ..
أفهمت إنه على ديني.

ثقي يا صحيفة..

ثقي بأن جاركم اليهودي هو الذي وشى بأخيك عند
الملك .. وهو الذي دل الجنود عليه .. وسلمه لهم .. فأخذوه
ورجموه لأنه لم يرجع عن دينه.. أفهمت يا صحيفة؟
إنني لم أفعل ذلك أبدا.

سكتت الفتاة قليلا لتلتقط أنفاسها.. أو لترى أثر كلامها
على الملك والحاضرين .. كان الجميع ينظرون إلى وجهها الصغير
المستدير وعينيها الصفراوين باهتمام بالغ .. لا يريدون أن تفوتهم
كلمة مما تقول ..

- كان يا مولاي شديد الحذر .. قوي اللهجة .. كان
يخشى أن يراه أحد.. أو يسمعه أحد .. كان يضغط على رسغي
بقوة ..

لعله لم يشعر بأني أتألم من شدة قبضته على يدي .
- وماذا فعلت ؟

- صرخت .. قلت له : اترك يدي .. إنك تؤلمني ثم
قلت له :

- من أنت ؟

فنظر إلي نظرة غريبة وقال :

- تنكرين معرفتك بي يا صحيفة ؟

أنا ابن عمك .

- أنا ليس لي عم .. ولا ابن عم .

- اتقي الله يا صحيفة .. اتقي الله .

- أنا اسمي درة ..

ولا أدري عم تتحدث ..

أراد أن يصرخ في وجهها .. ولكنه كتم صوته .. وصرَّ

أسنانه بشدة:

- لماذا يا صحيفة .. لماذا تنكرين ابن عمك؟

لان قلب الفتاة فقالت :

- أنا أقول الحقيقة .. أنا اسمي درة .. وليس لي عم ولا

ابن عم .

هذه صاحبتى سحابة .. سلها إذا شئت .

سحابة .. سحابة .

التفتت سحابة:

- نعم يا درّة .. ماذا تريدان ؟

- هل سمعت ؟

لقد أجابت : يا درّة .. فأنا اسمي درّة وليس صحيفة
أرجوك ..

- لكنك تشبهين ابنة عمي .. في الطول .. في الجمال ..
في الصوت .. في الشكل .. إلا في الزي ..

إنها لا ترتدي مثلك ..

إنها لا تحلي أصابعها بمثل هذه الخواتم .
إنها ..

- أ رأيت ؟ فأنا غيرها .. أنا اسمي درّة .

استمرت الفتاة تروي قصتها .. والعيون معلقة بها
والآذان تتلقف كلماتها كأنها السحر .

- ترك يدي تسقط من يده ..

ثم نكس رأسه .. وراح يعتذر بكلمات لم أفهم منها
شيئا .. ثم انصرف .

ساد القاعة صمت طويل ، كان الجميع خلاله يفكرون
في كلمات الفتاة التي سحرهم بحلو منطقتها وحسن حديثها .

سألها الوزير:

- كيف كان يبدو؟

لم تنظر إلى الوزير.. نظرت إلى الملك وأجابت :

- كان يا مولاي جميلاً.. جميلاً جداً.. كان حاسر الرأس

، بشعر أسود لامع .. تحتضن وجهه الجميل لحية سوداء خفيفة ،
شاربه خفيف رفيع فاتن ..

كان يا مولاي .. كأنه قادم من الآخرة .. من الجنة!!!

تبسم الملك وقال:

- أشكرك يا بنتي .. لم يصفه أحد كما وصفته..

هل من شيء آخر؟

- لا يا مولاي .

- هل تريد أن تذهبي ؟

- إذا سمحت يا مولاي .

أشار بيده :

- تفضلي.

نهضت الفتاة واقفة، ورجعت قليلا إلى الوراء.. ثم عادت
وكأنها تذكرت شيئا:

- هل ستقتلونه إذا قبضتم عليه؟

ارتسمت على وجوه الحاضرين ابتسامة خفيفة:

وقال الملك:

- إنما نريد أن نعرف ما عنده..

اذهبي راشدة.

عندما ذهبت الفتاة.. التفت الملك إلى جلسائه وقال:

- ماذا ترون؟

قال الرجل الذي يجلس إلى جانب الرجل المغمض

العينين:

- إنها فتاة صغيرة أخذت بمظهر الرجل وحديثه فجاءت

تدافع عنه.

تنحنح رجل آخر كان يجلس إلى جانبه وقال:

- نعم.. إنها جاءت تدافع عنه بهذا الأسلوب.. ولكنها

لم تؤخذ بجمال الرجل.. إنها رأت الإخلاص مجسدا فيه.. رأت

ما لم يستطع غيرها أن يراه لحد الآن.

قال رجل آخر .. كان يحاول أن يتكلم في كل مرة
فيسبقه غيره.

كان ضعيف الصوت كأنه يخرج من بئر عميق:

- لعل الرجل قد أخطأ الطريق إلى مدينته..

فجاء إلى مدينتنا.. أو توهم .. أو .. واختفى صوته كأنه

كان ييلع الكلمات ولا يخرجها ثم سكت!!

قال الإسكندري:

- إنه لم يتوهم.. ولم يتخيل.. لقد مر به كل ما ذكر .

ولكن أين.. ومتى؟! لعل السر يكمن في الكلمة التي قالتها الفتاة

دون وعي: كأنه قادم من الآخرة!!!

٤

دخل الحاجب على غير عادته.. كان يحاول أن يكتم
ضحكة تريد أن تفلت من شفثيه:

- هذا رجل .. جاء .. ليحدثكم..

كان يريد أن يقاوم الضحك بكل شفثيه .. ولكنها أقوى

منه .

- عن .. عن الرجل الغريب .. يا ..

راح يقاوم بكل قوة..

- يا مولاي .

نظر إليه الملك نظرة صارمة وقال :

- أتضحك ..؟

جمد الحاجب في مكانه..

واختفت الضحكة كأنها لم تكن.

- أنا يا مولاي .. إنه .. هو .. جاء راكضا.
- أدخله .

دخل الرجل مسرعا وهو يلهث .. كان يحمل منديلا
كبيرا يمسح به العرق الذي تصبب على وجهه ورقبته. كان بدينا
قصيرا .. مدور الوجه. . منفوخ الخدين .. أحمر .
- السلام على مولاي الملك .

السلام على الوزير .

السلام عليكم .

- وعليك السلام .

راح الجميع ينظرون إليه .. حتى المجلس الذي كان يبدو
كالنائم فتح عينيه ، وأخذ ينظر إليه .. يراقب حركة رأسه ويده
وفمه .. وكل بدنه!

- تفضل .

- أنا يا مولاي .

أشار الملك إلى الكرسي :

- اجلس

- أنا رأيت الغريب

مسح وجهه ويده بالمنديل :

- رأيته وكلمته.

أشار الملك بيده:

- اجلس .

- يا مولاي.. كان يحمل صرّة فيها طعام.

- اجلس وتريث.. وخذ كأسا من الماء.. ثم حدثنا بعد

ذلك .

- نعم .

أسرع الحاجب فحاء بالماء في كأس جميلة يحملها في

صينية من الزجاج .

أخذ كأس الماء.. وحاول أن يشربه بتريث ولكنه لم

يستطع .. فراح يشفطه شفطا.. ثم أعاد القدح الفارغ إلى

الحاجب وهو يقول :

- الحمد لله .. إنه لذيذ.

- هل تريد كأسا أخرى؟

- لا يا مولاي.

وتصبب العرق سريعاً من جسده ، فراح يمسح وجهه
ورقبته وصدره!

- نعم .

- يا مولاي .. كنت قد التقيت بصاحبي .. الرجل
المدعو سيمنس .

قال الوزير يخاطب الملك .

- الذي حضر هنا قبل ساعة .

هز الرجل البدين رأسه:

- نعم يا مولاي .. وحدثني عن الرجل الغريب ..

ووصفه لي فلما رأيته عرفته .. وبادرته بالكلام .

- أنت كلمته؟

- نعم يا مولاي .. أردت أن أوهمه بأنني أعرفه ..

بسطت إليه يديَّ الاثنتين وقلت:

- أهلاً .. أهلاً .. بالصديق العزيز الغالي . دهش الفتى

وقال :

- هل تعرفني ؟

قلت :

- نعم .. رحم الله ذلك الوالد الطيب .. رحم الله أباك ..
كان رجلا عاقلا كريما نظيفا .

اطمأن الشاب فقال :

- صدقت .. كان كما ذكرت .

ثم تنهد وقال :

- لقد ظننت أنه لا يعرفني في هذه المدينة أحد!!

تصور يا .. ما اسمك؟

- اسمي كوكب .

- تصور يا كوكب .. بالأمس فقط خرجت من هذه

المدينة .. وعدت إليها اليوم .. فإذا كل شيء فيها قد تغير ..
كل شيء .

- هذا يحدث لكثير من الناس .

- أنا أتكلم عن المدينة ..

لا .. لم أسمع بأنه قد حدث مثل هذا لأحد هل ضاعت

مدينتي؟!!

هل اختفت من الوجود؟!!

ولكن أخبرني يا كوكب .. أين يقع بيتي؟

- بيتك؟

- نعم .

- أنت تسألني عن بيتك؟

- نعم.. ألم تقل أنك تعرفني؟

- نعم أعرفك .. أعرف والدك .. وكنت أراك معه .

- ما اسمه؟

- أنت .. أنت .. أنت تسألني عن اسم أبيك؟

- إذا كنت تعرفه.

- لا أتذكر .

تغيرت لهجة الشاب فقال بحدة:

- أنت تكذب يا كوكب .

- أنا؟

- أنت لا تعرفني ..

ولا تعرف أبي..

أنت تريد أن تستدرجني بالحديث حتى أبوح لك بأسماء

إخواني ومكانهم.. فتذهب إلى الملك فتشي بهم.

- لا .

- نعم.. أنت تريد أن تسلمني إلى الملك وجنده أنت ..

لكن لا.. لا أريد أن أقول فيك أكثر من هذا .

ثم تركني وذهب..

فأسرعت لكي أخبركم بما حدث يا مولاي.

تبسم الملك وقال :

- ما كان عليك أن تكذب.. لا سيما أنه اطمأن إليك

ووثق منك .

- غلطة.. إنها غلطة يا مولاي .

سأله الوزير قائلاً:

- أية فكرة كونتها عن الرجل.. ؟

هل تظن أن الرجل قد صدقك؟

كيف تفسر قوله: إنه خرج من هذه المدينة بالأمس ثم

عاد إليها اليوم..

فإذا كل شيء فيها قد تغير؟

هل سألته .. ماذا تغير فيها؟

بلع الرجل البدين ريقه ، وبدا وكأنه لم يستوعب شيئاً

مما سمع .. فقال متوسلاً :

- أرجوك يا مولاي.. أنا لا أستطيع أن أفكر مثلك ..

أنا.

قال الملك وهو يشير إلى الوزير:

- اتركه .. دعه يذهب

لكن الحاجب دخل مسرعاً وهو يقول:

- لقد قبض على الرجل الغريب يا مولاي .

* * *

الفصل الثالث

الاعتراف..

١

دخل عدد من الجنود يدفعون أمامهم شاباً متوسط
القامة، حاسر الرأس، أسود الشعر، جميل التقاطيع، حلو
القسمات، في عينيه السوداوين معاني الصدق والصراحة والصفاء
.. يحمل بيده صرة فيها طعام .

نفض الملك . . . ونفض كل من كان جالساً في
حضرتة .. وأشار بيده إلى الجنود:
- اتركوه .

وقف الشاب بزيه الذي يختلف عما عهدته الناس في
المدينة، وقد أظهر صبراً وجلداً غير عاديين، وكان يذكر الله في
سره ويسأله الثبات .

أشار الملك إلى الشاب قائلاً:

- اجلس

ثم أضاف بلهجة ودود:
- إننا لا نريد بك سوءاً.
- سأبقى واقفاً .

لاحظ من الشاب نظرة إلى الرجل الشاهد البدين
كوكب فقال يخاطبه:

- فأنت الذي وشيت بي .

أراد الرجل أن يقسم ، وقد رفع يده بالمنديل الذي يمسح
به العرق .. ولكن الملك منعه بإشارة منه .

تبسم الملك ثم قال:

- إنما أريد أن أسألك:

من أنت؟

من الذي أرسلك؟

من أصحابك الذين أرسلوك؟

كم عددهم؟

من أي بلد أنت؟

ثم.. ماذا تريد؟

أطرق الفتى لحظات .. راح يفكر في الطريقة التي يمكن
بواسطتها أن يتخلص من هذا المأزق!! على الأقل في الطريقة التي
يستطيع أن يبعد بها الأذى عن إخوانه.
قال :

- أنا ابن تاجر البز الذي استوليتم على أمواله لأنه دخل
في دين الله، فتوفي قبل شهر. . ولكي أوفر عليكم عناء السؤال..
فأنا أعترف..

إنني مؤمن بالله تعالى..

لا أعبد إلا الله ..

أنا لا أعبد الملك ..

ولا أدين بدينه..

ولا أخافه.

أنا أعلم أي حكم ستصدرون بحقي..

ستأخذوني إلى وسط المدينة .

فتصلبوني إلى العمود الأبيض في الساحة الكبيرة .

ثم ترموني بالحجارة حتى الموت.

افعلوا ما شئتم..

فلن أرجع عن ديني .. أبدا..

نطق الكلمة الأخيرة بعزم وتصميم أثار الدهشة

والإعجاب !

ولكن ..

ما هذا الذي يقول !؟

قال الملك :

- لماذا تتهمنا بأننا نحارب دين الله ؟

وتقدم الوزير .. فراح يكلمه بلطف:

- يا ابني ما هذا الكلام؟ .. أنت تتخيل أشياء لا وجود

لها .. لقد ذكرت أموراً نحن لا نعرفها ولم نسمع بها !!

إننا نريد أن نعرف من أي بلد أنت ؟

نظر الشاب إلى الوزير نظرة كلها شك وريبة . لماذا يريد

هذا الرجل أن يخدعه .. وقال :

- أنا من هذا البلد .

أجاب الوزير :

- لا يمكن أن تكون من هذا البلد..

فأنت ترتدي زياً غير زينا ..

وتتكلم لهجة تختلف عن لهجتنا ..

وقد ذكرت أمورا عن ملك ظالم يقتل الناس ويعذبهم
ويصادر أملاكهم..

وهذا لم يحدث في بلدنا!!

من الملك الذي تحدثت عنه ؟

صاح الشاب منفعلا:

- أتريد أن توهمني بأن هذه ليست المدينة التي يحكمها

الملك دقيانوس؟!

- الملك دقيانوس !!؟؟؟

نطقت بها جميع الشفاه مرة واحدة !! وارتسمت على

وجوه الحاضرين علامة استفهام غريبة !!

وقبل أن يسمع الجواب دخل الحاجب ومعه رجل:

- هذا الرجل لديه ما يقوله لكم يا مولاي .

أسرع الرجل .. وكان ضئيلا ، مائلا بصدره إلى الأمام

.. مد يده إلى الملك وهو يقول :

- هذه القطعة الفضية من النقود أخذتها من الرجل

الغريب .

انظر يا مولاي .. عليها صورة ملكهم .
تلفت الرجل يمينا ويسرة ثم قال :
- نعم يا مولاي .. هذا الشاب أعطاني هذه القطعة التي
تراها ..

اشترى مني طعاما ونقدني إياها .
وبينما كان الملك يقلب القطعة الفضية بيده عاد الحاجب
فقال :

- رجل طاعن في السن .. تجاوز المائة والعشرين من
العمر سمع بالغريب .. يريد مقابله يا مولاي .
- دعه يدخل .
- معه رجلان يحملانه على كرسي .
- أدخلهما معه .

رجل نحيف هزيل أبيض .. تتدلى لحيته البيضاء على
صدره .. صغير الرأس .. أصلع .. أبيض شعر الحاجب والأهداب
والشارب .

- السلام على مولانا الملك .
السلام عليكم ..

- أريد أن أرى الغريب .. أدنوني منه .. أريد أن أكلمه
كان صوته ضعيفا، كان جسمه يهتز .. يداه ترتعشان ..
أصابع يديه كالعاج القديم الذي تغير لونه !!
- أين الشاب .. أين أنت .. أريد أن أكلمك .
- أنا هنا .. أمامك ..
- ادن يا بني .. ادن مني .. أريد أن أراك جيدا
- سأبقى في مكاني .
- راح الرجل الكبير يسعل قبل أن يتكلم .. والكرسي
القديم الذي يجلس عليه يهتز.. وأحد الرجلين اللذين دخلا معه
يسنده لثلا يقع! .. وبعد أن هداً أسرع الثاني فأخرج منديلا مسح
به أنفه وفمه .. ثم عادا إلى مكانهما إلى الخلف.
- أجبني يا بني .. كم عددكم؟
- أنا لم أجب الملك عن هذا السؤال .
قال الشيخ بصوت خفيض مرتعش:
- هل معكم رجل كان يرعى الغنم؟
سكت الشاب ولم يجب .
- يا بني أرجوك .. أجبني

لقد انتظرت هذا اليوم من زمن طويل .. هل أنتم ثلاثة ؟

- لا

- فأنتم أربعة خامسكم كلبكم

- كلبنا؟

- كلب الراعي .. فإن لم تكونوا كذلك .. فأنتم خمسة

سادسكم كلبكم.

نفذ صبر الفتى فصاح:

- ماذا يهمكم إذا كنا خمسة أو ستة .. إذا كان معنا

كلب أو لم يكن؟!!

ها أنا ذا بين أيديكم .. افعلوا بي ما شئتم فلن أرجع عن

ديني أبدا.. ولن أدلكم على أصحابي .. لقد عاهدت الله على

ذلك.

غمرت الرجل الكبير فرحة. . . وأراد أن يصيح ..

ولكن صوته خانه:

- هل أنتم الذين هربتم من الملك الكافر الظالم دقيانوس؟

- نعم

- أنتم؟!!

نعم.. نحن الذين هربنا منه بالأمس .

لم يستطع الرجل الكبير أن يتكلم .. راح يبكي كالطفل
الذي عثر على أمه بعد غياب طويل .. راح يبكي .. وجسمه
النحيل يهتز .. والكرسي القديم يهتز .. والرجلان يسندانه لئلا
يقع فيقضى عليه!!

ووقف الملك مأخوذاً، وراح يقلب القطعة الفضية
ويتحدث مع نفسه:

- الملك الكافر الظالم دقيانوس؟!

والوزير.. ورجال المملكة .. والاسكندري .. وكل
الحاضرين في دهشة وعجب عظيمين .. تتردد الكلمة على
شفاههم:

- الملك الكافر الظالم دقيانوس؟

ما هذا؟

أخذ الشاب يتلفت في الوجوه ..

ما الذي يحدث أمامه؟!

إنه لم يفهم أي شيء مما يدور حوله حتى هذه الساعة !

الشيخ المسن يبكي ..

والملك يقلب القطعة الفضية التي أعطاها للبائع ثم ينظر إليه.. والحاضرون.. ماذا جرى لهم ؟ !

ولما هدأ الشيخ الكبير .. مد يديه المرتعشتين إلى الشاب المائل أمامه:

- أيها الفتى التقى العابد الصالح.. ناولني يديك أقبلهما.

- لا.

تراجع الشاب إلى الخلف دون وعي.

- لا.

- أعطني يديك أقبلهما يا بني .. أرجوك .

- لا.

توجه الشيخ إلى الملك وقد اخضلت لحيته بالدموع ..

وقال .. والحاضرون يسمعون ، والستائر والجدران وكل شيء

يصغي بانتباه شديد:

- أبشر أيها الملك السعيد.

أبشر بأعظم يوم في حياتك..

لقد اختار الله تعالى أن يبعث الفتية الذين هربوا من الملك

الظالم قبل مئات السنين ..

اختار الله تعالى أن يبعثهم في زمانك ..
هؤلاء الذين كان ينتظرهم أجدادنا ..
هؤلاء الفتية الذين هربوا في الزمان الأول فراراً بدينهم
خوفاً من أن يفتنهم الملك الكافر الظالم دقيانوس.

هنيئا لك يا مولاي ..

هنيئا لكم جميعاً ..

لقد بعثهم الله ليروا ثمرة عملهم في سبيل الله.

لم يستطع الفتى أن يصدق أول الأمر ..

مئات السنين مضت على خروجهم من المدينة؟ !

كيف ..؟!

ولكن لم لا يصدق ..

ومنذ الصباح وهو يرى الأشياء .. كل الأشياء على غير

المألوف والمعلوم لديه؟!

وغمرت الملك فرحة عظيمة كادت تخرجه عن وقاره

وهزته بعنف .. فهتف:

- الفتية الذين آمنوا بالله تعالى؟

الذين هربوا من الملك الكافر الظالم دقيانوس؟

الفتية الذين حملوا إلينا هذا الدين ؟

الحمد لله ..

الحمد لله ..

الحمد لله الذي شرفني بهذا الفضل العظيم .

الحمد لله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد

كلماته.

سرت همهمة وهمس بين الواقفين .. وراحوا ينظرون إلى

الشاب وكأنه ملك نزل في صورة إنسان!

والتفت الشيخ الكبير يتحدث إلى الشاب :

- يا بني .. لقد هلك دقيانوس، و الذي بعده ، والذي

بعده، والذي بعده ..

وآمن الملك .. وجنود الملك.

ودخلت المدينة كلها في دين الله .

لقد آمن الناس جميعا ..

لم يعد في المدينة من يؤمن بغير الله الواحد القهار!!

لم يحتمل الفتى أكثر من هذا .. فخر على وجهه ساجداً
باكياً مردداً:

- يا ربي لك الحمد .. ياربي لك الحمد .. يا ربي لك
الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك .. يا ربي لك
الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما تحب وترضى يا ذا الجلال
والإكرام .

لم يتمالك الواقفون أنفسهم .. فراحوا يمسحون الدمع
الغزير الذي انحدر على وجوههم .. ثم أرادوا أن يندفعوا نحو
الفتى فيوسعون له لثماً وتقبيلاً ولكن الملك منعهم:
- مكانكم .

وراح الرجل القصير البدين الأحمر يكي بصوت
مسموع .

مضت مدة ليست قليلة ، فحضر بعدها الفتى الذي جاء
من وراء السنين ، فأخرج منديلاً مسح به وجهه ودموعه .. ثم
راح يتكلم بصوت عميق مؤثر قادم من وراء ثلاثمائة عام وتسعة
أعوام :

- أنتم لا تعلمون كم عانينا..

أنتم لا تعلمون كم تعذبنا ..

أنتم لا تعلمون ..

ولا تستطيعون أن تتصوروا الليالي السود التي مرت بنا ..

لقد كان الملك الكافر ..

لقد كان دقيانوس كالإعصار الذي فيه نار.. يدمر كل

شيء يأتي عليه!!

لقد ملأ العيون بالدموع

لقد أشاع الخوف في النفوس..

لقد طرد الفرحة والبسمة والبشاشة من الوجوه!!

نسي الحاجب واجبه .. وترك كل عامل عمله ..

وحضر جميع من في القصر يستمعون بكل قلوبهم . قصة الجماعة

المؤمنة .. التي جاهدت في سبيل إعلاء كلمة الله .. قصة الفتية

الذين آمنوا برهم وزادهم هدى!!

وراح الفتى يتكلم .. والجميع آذان صاغية .. حتى

الجدران حتى الستائر المسدلة .. حتى النافذة المفتوحة .. حتى

العصفور الذي حط على حافتها..

- كانوا يقتحمون علينا منازلنا في أية ساعة من ليل أو
نهار.. فيحطمون كل شيء .. ويخربون.. وينهبون .. ثم يأخذون
الرجل المؤمن..

بعد أن تنهال عليه سياطهم.

إلى الساحة الكبيرة.. في وسط المدينة..

التي يقوم في وسطها عمود أبيض .. من الرخام ..

فيصلبونه إلى العمود..

ثم يرمونه بالحجارة .. حتى الموت.

أو يرجع عن دينه!!!

فلما اشتد علينا الكرب هربنا..

عندما أيقنا أنه لن يؤمن من الناس إلا من قد آمن ..

هربنا..

عندما ضاقت علينا المدينة بما رحبت .. هربنا. .

لجأنا إلى كهف.. خارج المدينة..

قلنا نختفي في النهار.. ونسير في الليل .. حتى نصل إلى

بلد لا يضام فيه الناس .. ولكن غلبنا النعاس.

هجم علينا النوم بشكل عجيب .. م نسع أن
نقاومه ..

فمننا..

فلما استيقظنا ..

التفت بعضنا إلى بعض .. وقد شعرنا بجوع شديد ..
ورحنا نتساءل:

(قال قائل منهم : كم لبثتم ؟

قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم.

قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم..

فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة .. فلينظر .. أيها

أزكى طعاما .. فليأتكم برزق منه . وليتلطف. . .

ولا يشعروا بكم أحدا..)

ووقع الإختيار عليّ ..

لأني لم أكن معروفا لجنود الملك.

ولا أحد يعلم بإيماني .. إلا أقرب الناس إلي .

وهالني ما رأيت ..

لقد دبت الحياة في كل شيء .

في الأرض .. في النبات .. في الأزهار .. في الحيوان في
الطيور المغردة .. في الأزهار المفتحة .. في الثمار الشهية .. في
المدينة الميتة!!

قلت : لا .. هذه ليست مدينتي .
مدينتي يسيطر عليها شبح الخوف .. والموت!
مدينتي يحكمها جلاذ .. يغمرها السواد..
وهذه مدينة حية..
أريجها أريج .. وسحرها مزيج..

فإذا رأيت بعض الأماكن التي أعرفها .. قلت : لا .. إنها
مدينتي.. وأنا أسير في حلم!!
وهكذا بقيت متردداً .. متشككاً..
وزاد من شكوكي أني رأيت أناسا ظننت أنني أعرفهم
فلم يعرفوني..
بل أنكروا لهجتي .. ولباسي..
حتى ألقى القبض علي..
وتعجبت ..

لم أسمع من أحدهم كلمة سب أو إهانة..

لم تمتد يد أحد منهم إليّ .. بأذى ..

حتى وقفت بين أيديكم..

وأنا أظن أنه سيذهب بي إلى الساحة الكبيرة..

إلى الرجم حتى الموت!

فسلمت أمري كله لله .

ورجوت أن يقبلني في الشهداء.

ثم سمعت ما سمعت .. وأنا لا أستطيع أن أصدق فالحمد

لله .. ثم الحمد لله .. ثم الحمد لله القادر على كل شيء.

كان السكون مخيماً على القاعة بشكل عجيب .. لا

يقطعه إلا سعال الشيخ العجوز .. أحياناً . وظل السكون مخيماً

بعد أن عرض الشاب قصة الجماعة المؤمنة.. حتى قطعه

الاسكندري قائلاً :

- لتذهب إلى أصحابك فبشرهم.

- نرسل من يدعوهم إلى القدوم..

وارتفعت الأصوات .. كل يقترح طريقة لتبليغ الجماعة

المؤمنة المختبئة في الكهف .. خارج المدينة .

قال الملك:

- لا .. لا ينبغي أن تركهم ينتظرون .. سأذهب
بنفسي إليهم .. سيكون يوما مشهودا!
تنفس الفتى ملء رئيته .. وراح يتحدث بصوت
خفيض ..

كأنه يكلم نفسه:

- ستكون فرحة عظيمة لهم ..
سيعودون إلى مدينتهم الحبيبة .
بعد أن أهلك الله عدوهم ..
سينعمون بالحياة الرنحية الرضية .. الآمنة .
الخالية من الخوف ..
البعيدة عن ظلم الملوك وقسوتهم .
سيكون الراعي أشدهم فرحا .
سيعود إلى كوخه وغنمه ..
سيعود إلى زوجته ماوية ..
لا ...
لقد نسيت ..

لم يبق كوخ ولا غنم..
لم يبق من الذين عاشوا في زماننا أحد..
لا أهل..
ولا أخوة ..
ولا أقارب..
ولا أصدقاء..
لقد تبدلت الأرض غير الأرض ..
والناس غير الناس ..
والمدينة غير المدينة ..
لم يبق إلا الله الواحد الأحد .
الذي له الملك والحمد..
لقد بعثنا الله ليرينا ثمرة عملنا في سبيله كما قال الرجل
العجوز ..
فالحمد لله على كل حال..
لا إله إلا هو ..
كل شيء هالك إلا وجهه.



٢

كان الطرق قوياً ومتواصلاً على الباب .

- سلمى .. سلمى ..

- نعم.

- افتح الباب .. افتح .

مضى سلمى نحو الباب بطيئاً كعادته.

- سلمى .. أين أنت.

- أنا قادم.

فتح الباب ونظر إلى جاره .. الرجل القصير النحيف

الذي اخبر الملك عن الغريب.

- ماذا تريد أيضاً؟

--- قبضوا على صاحبك.

- الشاب الذي كان هنا؟

- نعم

- هل ارتاحت نفسك؟!

- الناس في المدينة يتحدثون عن وجود أصحاب له

آخرين .

- ليسوا عندي .

- إهم في طريقهم إليك

- اذهب يا رجل اذهب

وأغلق الباب في وجهه وتركه.

٣

- أسرعى يا عتيقة.. أسرعى .. دعى كل شيء.
- أدع العجين تأكله الققطط؟ !
- الغطاء أمامك وأنت تبحثين في مكان آخر .
- هل أنت متأكدة أنهم قد ظهوروا؟
- نعم .. الناس يسرعون إلى قصر الملك .. إنهم هناك .
- سنرى قصر الملك .
- أنا أريد أن أرى الرجال الصالحين .. التقاة .. الذين هربوا من الملك الظالم .
- ما شكلهم؟
- لا بد أن يكونوا كباراً في السن .
- لحاهم طويلة؟

- نعم .

غطت العجين ، ووضعت حجارة ثقيلة عليه ثم وقفت

وأشارت إلى صدرها .. وكانت سمراء هزيلة :

- إلى هنا؟

- أظن

خفضت يدها:

- بل إلى هنا ..

- يا عتيقة.. أعتقني بالله عليك .. كيف أستطيع أن

أصفهم لك وأنا لم أرهم بعد؟!

- كم عددهم؟

- ثلاثة رابعهم كلبهم.

- ومعهم كلب؟

- نعم

- أبيض؟

- يا عتيقة.. أنا مثلك لا أعلم شيئاً.. أسرعي .

- سأرتدي غير هذا الثوب

- ارتدي أي ثوب تشائين..

غيرت ثوبها بسرعة ثم قالت :

- هيا ..

لكنها رجعت فقالت :

- انتظري حتى ألبس الأسورة .

- لماذا الأسورة. ؟

فتبسمت ونظرت إلى صاحببتها بعتاب:

- وإذا رأي ابن الملك!!؟

٤

- عندما تقتربون منهم، سلموا عليهم .. قبلوا أيديهم لا تنسوا..

قبلوا أيديهم .. سأجعلهم يمسخون على رؤوسكم..
ستصبحون مثلهم رجالا أتقياء..

لا تخشون إلا الله ..

لا تنسوا.. قبلوا أيديهم..

إنهم قادمون من خارج المدينة ..

لقد هربوا من الملك الظالم دقيانوس.. فطافوا الأرض

وساحوا في البلاد ، حتى وصلوا هذه الساعة ..

كم أنت ثقيلة يا امرأة ..

كيف لو كان لك عشرون طفلاً..

ألبسهم بسرعة.

- يجب أن يرتدوا أحسن ملابسهم .. وأن يظهروا

بأحسن مظهر.. ماذا تريد أن يقول عنا الناس ؟

- أنا أقول أسرعى.

- هل تريد أن يراهم الفتية بهذه الثياب القذرة؟

كيف يسمحون لهم بتقبيل أيديهم إذا كانوا بهذه

القذارة؟

- أنا أقول أسرعى فقط.. إن قلبي يحدثني بأن أترككم

وأذهب .. أنا لا أستطيع الانتظار .. أنا على أحر من الجمر

وامرأتى أبرد من الثلج!!

- جارتنا بطة تقول : إنهم في قصر الملك .

- غلط غلط .

- زوجها أخبرها .. إنه حاجب الملك .

- إنهم قادمون من خارج المدينة .. صدقيني يا امرأة ؟

- زوجها أخبرها بأن الملك قبض على واحد منهم .

- أستغفر الله .. أستغفر الله العظيم ..

يا امرأة .. تصدقين بطة ولا تصدقين زوجك ؟

ملكنا العادل الصالح يلقي القبض على أحد المؤمنين

الصالحين الصادقين الذين حاربوا الظلم والكفر والفساد؟

يا امرأة .. اتقي الله !

- هي قالت .

- أسرعي بالله عليك.

الطفل الصغير .. لا تنسي الصغير .. سأجعلهم يمسخون

على رأسه.



هل رأيت يا سحابة.. هل رأيت الرجل الصبيح المسيح
ذي الثوب الأبيض والرداء الأحمر؟
- الذي كان يكلمك؟
- وكان يمسك بيدي من هنا .. انظري .. إنني أشعر
ببرودة أصابعه.

- نعم رأيتة .
- إنه أحدهم .
- أحدهم؟
- أحد الفتية الذين هربوا من الملك .
- من ملكنا؟
- من الملك الكافر الظالم دقيانوس

- هل سيهب ملكنا لحرابه ؟
- حرب من ؟
- الكافر الظالم دقيانوس؟
- إنه مات .
- متى ؟
- قبل مئات السنين
- درّة؟!
- اسمعي يا سحابة .. ألم تسمعي من أمك .. جدتك عن
- فتية هربوا في الزمان الأول من ملك كافر كان يقتل الناس؟
- بلى .
- هؤلاء الفتية قد بعثهم الله .
- متى ؟
- اليوم .. لقد كان الشاب أحدهم .
- كيف عرفك .. هل كان قريبك؟
- لقد ظن أنني ابنة عمه .. هل سمعت .. كان يركض
- ورائي ويصيح درّة .. درّة .
- هل ناداك باسمك؟

- لا .. أنا قلت له : إن اسمي درّة .

تصوري يا سحابة .. تصوري .. أن ابنة عمه تشبهني ..

قال : إنها جميلة مثلي .. قال : إن صوتها مثل صوتي ..

قال ..

- هنيئا لك يا ستي .

- سبحان الله .. إنها تشبهني في كل شيء .

أسرعي يا سحابة ..

جميلة .. جيدة . أين أنتما؟

أسرعا بالله عليكمما .

- عندما أعطاني القطعة الفضية عرفته ..

أصابتني رعدة قوية من رأسي إلى قدمي ..

لم أستطع أن أتكلم ..

لم أسأله من أين أتى بتلك القطعة الفضية . فلما تمالكت

نفسي .. كان قد ذهب بعيدا .. فأسرعت إلى الملك أخبره ..

لكي يكرمه .

- كيف عرفته؟

- من القطعة الفضية .. كان عليها صورة ملكهم .

- أرنا القطعة ؟

- أخذها الملك .. قال سأحتفظ بها في صندوق خاص .

- ما شكله؟

- بطل .. شاب مفتول العضل والساعد.. لم يستطع
الملك الكافر الظالم دقيانوس أن ينال منه .
- وأصحابه؟
- كلهم أبطال .
- هل رأيتم؟
- لا ..
- كم عددهم؟
- خمسة سادسهم كلبيهم .
- خمسة .. فقط؟
- نعم.
- والرجل الكبير الطاعن في السن .. يقولون إنه
أحدهم.
- لا .. إنه ليس منهم .
- يا رجل ..
- إنه أبو جزيء الحلاق .. كلكم تعرفونه .. حملة ولداه
إلى الملك لكي يرى الشاب ويكلمه.

٧

- وقف يحدثني بهممس .. كان الحياء بادياً عليه .. كان وجهه يتلألاً كالقمر
- هل عرفك؟
- لقد ظن أنني أم أحد الدعاة إلى الله الذين هربوا معه من الملك الظالم .
- كيف تركته يذهب يا أم مسعود ؟
- ماذا أفعل .. هل أمسكه من يده؟
- لا.. ولكن..
- لم تخطر (لكن) على بالي .
- فأنت أول من عرفه؟
- أظن ذلك

- كم عددهم ؟
- لا أدري .. ولكن يقال أن معهم كلب.

٨

- سبحان الله .. عند ما كان جدي يحدثنا عنهم ، كنت أظن أنهم رجال عاشوا في زمانه .. ولم أكن أتصور أنه مضى عليهم أكثر من مائة سنة.

- مائة سنة ؟ .. قل مائتين .. قل ثلاثمائة .. إنهم

عاشوا في زمن الملك الظالم الكافر دقيانوس .

- أين كانوا كل هذه المدة ؟

- كانوا فوق الجبل .. خارج المدينة .. يعبدون

الله تعالى وقد أرسلوا أحدهم ليشتري لهم طعاما فعرفه الملك.

- كيف عرفه ؟

- عندما خرج الملك هذا الصباح من قصره ..

رأى رجلا بزي غريب .. فوقف يسأله حتى عرفه.

- لا بد أن يكونوا كباراً في السن .
- إن عمر الواحد أكثر من ثلاثمائة عام .
- كم عددهم ؟
- سبعة وثمانهم كلبهم .
- ماذا يفعل الكلب معهم ؟
- إنه كلب الراعي .
- لقد تأخرنا .. دعنا نلحق بالناس فقد سبقونا
- هيا

٩

- قل يا سيمنس .. كيف كان يبدو؟

- مثلنا .

- مثلنا؟ ! .. عيب يا رجل .. عيب .. الرجل

الذي ضحى بنفسه وماله في سبيل الله مثلنا؟

- إنما أعني على شكلنا وهيئتنا.

- مثلك أنت؟!!

أنت تشبه الرجل الذي اختصه الله تعالى بهذه الآفة ..

فبعثه حيا بعد مئات السنين؟

- كيف أستطيع أن أتفاهم معك .. كيف .

يا ستي ..

يا عزيزتي ..

إنه إنسان مثلنا .. من لحم ودم .. ليس ملكا .

- أنا قلت إنه ملك ؟

- لا .

- كم يبدو عمره؟

- في الخامسة أو السادسة والعشرين .

- أ رأيت ؟ .. عدت إلى الكلام الباطل .. رجل

عاش من زمن الملك الكافر الظالم دقيانوس إلى هذه الساعة

وتقول إنه في السادسة والعشرين من عمره؟

- لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. قلت إنه كان

يبدو .. كان يبدو .

أنت سألت : كم كان يبدو عمره؟

فقلت: كان يبدو في الخامسة أو السادسة والعشرين .

- هل يصدق هذا الكلام عاقل ؟

- نعم .. كل الناس يصدقون .. إلا أنت !!

- يا رجل ..

- ارحميني .. ارحميني بالله عليك .

- أنت تحمل الطفل الكبير .

- أنا أحمل الكبير والصغير .. أسرع .. أسرع

يا امرأة !

فقد سبقنا الناس

- أي رداء ألبس ؟

- البسي ما تشائين .

١٠

كان الشاب الطويل الأسمر ، يتقدم بخطوات قوية واسعة ..
والشيخ الأعمى الذي وضع يده اليسرى على كتفه وأمسك
باليمنى عصا ليست مستقيمة يركض وراءه وهو يلهث .

- عندما تقترب منهم دعني أكلم أحدهم .. أريد
أن أكلم الشاب الذي كان عند الملك .

- ماذا تريد منه ؟

- أريد أن يدعو الله لي ليرد بصري

- لم لا تفعل أنت؟

- أنا .. أنا الغارق في المعاصي؟ ستقف سيئاتي

كالسقف حاجزا بيني وبين السماء .

- تب إلى الله أولا .

- سأتوب .. ولكن ليس قبل أن ألتقي بأحد هؤلاء الذين اختصهم الله بكرامته.
- إذا رد الله إليك بصرك ربما تنغمس في المعاصي إلى أذنيك .
- لا .
- أتعاهد الله على هذا ؟
- نعم

الفصل الرابع

دعاء..

خرجت المدينة بجميع من فيها... بالرجال.. بالنساء..
 بالأطفال.. بالشيوخ.. بكل من يستطيع المشي أو الركوب. لم
 يشهد الروض الوسيح الفسيح خارج المدينة منظرًا كالיום..
 لقد خرج الناس للاحتفال بالفتية الذين بذلوا كل شيءٍ
 في سبيل دينهم.. في سبيل إسلامهم.. في سبيل الله.
 كانت تغمر الناس فرحة عظيمة أخرجتهم عن مألوف
 عادتهم.. الله أكبر... إنه أكبر يوم.. بل أعظم يوم في حياتهم..
 وهل مر عليهم يوم مثله!؟

كانوا يسرعون الخطى نحو الجبل البعيد.. كل يريد أن
 يسبق إلى رؤية الرجال الذين ناموا أكثر من ثلاثمائة عام.. ثم

بعثهم الله تعالى في هذا الزمان ليروا بأم أعينهم ثمرة جهادهم في سبيل الله.

النساء على عادتهن.. كن يسبقن الأحداث، ويتحدثن بكل ما يخطر على بالهن من احتمالات وتخيلات .. وكان الرجال يتلهفون لرؤية الرجال الأتقياء الأوفياء الأبطال .. الذين حملوا لهم هذا الدين .. كانوا يتشوقون إلى معرفة عددهم ونفوس الجميع تَهفوا إلى معرفة ذلك.. فكانوا يتلذذون بتخمين عددهم :

(سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم .

ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم .

رجما بالغيب.

ويقولون : سبعة وثمانهم كلبهم)

وكان الشاب الذي جاء إلى المدينة ليشتري طعاماً لأصحابه.. يسير إلى جانب الملك .. راكباً على حصان أشقر .. أما الملك فكان راكباً على حصان أدهم . وكانت فرحة الشاب لا تقل عن فرحة الناس .. بل تزيد أضعافاً..

سيبشر أصحابه ..

سيزف إليهم أعظم بشرى سمعوها في حياتهم

سيقول لهم : اخرجوا فانظروا..

هؤلاء الناس.. كل الناس

الذين يملأون السهل .. والجبل ..

قد جاءوا لاستقبالكم ..

لتكريمكم .. للسلام عليكم..

للاحتفال بكم ..

اخرجوا فانظروا..

فالدنيا أصبحت لكم.. وبين أيديكم .

فقد أهلك الله عدوكم .. الملك الكافر الظالم دقيانوس..

لقد ذهب الظلام إلى غير رجعة..

وجاء عهد النور ..

إن دعوة الإسلام قد قامت .. قوية .. عزيزة بقوة الله

وعزته!!

اخرجوا فانظروا ..

هذا الملك العادل الصالح المؤمن قد جاءكم بنفسه

والوزير..

وقائد الجند..

والجند أيضا... .

والناس .. كل الناس ..

كل من في المدينة قد جاء للترحيب بكم .. لرؤيتكم.

لقد تغيرت الدنيا ..

فلا خوف بعد اليوم .. ولا هرب ..

هنيئاً.. هنيئاً.. هنيئاً..

هنيئاً.. لكم يا مصايح الهدى ..

هذه المشاعر .. وغيرها .. راحت تحتم في نفس الشاب

المؤمن .. الذي عاد إلى أصحابه وهو يحمل صرة جعل فيها

الطعام الذي اشتراه لهم .

لا..

لن يفاجئهم ..

سيقدم لهم الطعام أولاً..

ثم يتلطف في إخبارهم بحقيقة الأمر ..

سيقول لهم

وقف الشاب عندما صار قريباً من الكهف .. لقد خطر
على باله شيء.. لا بد أن يفضي به إلى الملك . وقف الملك
أيضاً.

ووقف الناس ..

ما الأمر ؟

التفت الشاب إلى الملك وقال :

- أيها الملك .. إن أصحابي لا يعلمون بما حدث
.. إنهم يظنون أن الملك دقيانوس ما زال حياً..

فإذا دخلنا عليهم بهذه الصورة .. فربما يظنون أن

الملك دقيانوس قد جاء للقبض عليهم !!

فدعني أيها الملك .. أتقدمكم .. فأذهب وحدي ..

فأحدثهم .. وأعلمهم بحقيقة ما جرى . . .

سأتلطف ما استطعت في إبلاغهم ..

أرجوك أيها الملك ..

أرجوك.

ابتهج الملك كثيراً بهذه الفكرة فقال :

- نعم الرأي ..

اذهب يا بني .. وسنتظر حتى تخرج إلينا .

- أشكرك يا مولاي .. أشكرك .

وأرجو أن لا يسمح لأحد من الناس باقتحام الكهف .

- كما تشاء .

أمر الملك الجنود بأن يمنعوا الناس من الاقتراب من

الكهف .. وأن يقفوا حيث هم في انتظار الفتية الذين سيخرجون

بعد قليل .

مضى الشاب إلى الكهف ، بعد أن ترجل عن جواده .

كان باب الكهف في اتجاه الشمال .

كان الشاب وهو يتجه نحو الكهف ، يسير هادئاً . .

كان يريد أن يعبد كل كلمة سيقولها لهم .. خرج الكلب ينبح ..

فصاح الناس :

- هذا كلبهم ما زال حياً .

كان الكهف يتجه ببابه نحو الشمال .. وكانت الشمس
 إذا طلعت من جهة الشرق أرسلت أشعتها الذهبية على بابه ..
 ثم تميل ذات اليمين .. فإذا حان الغروب أرسلت أشعتها عليه من
 الجهة الأخرى.. من الغرب.

والكهف يحتوي على فجوة واسعة .. مستوية .. مريحة
 .. تسمح للهواء العليل بالمرور في أرجائها! .. كان الفتية داخل
 الكهف في صحة جيدة.. كانوا يبدون وكأنهم دخلوه لتوهم لا
 قبل مئات السنين!!

جلس أحدهم على الأرض وقد أمسك بيده عوداً راح
 يخط به خطوطاً ليست منتظمة ثم لمسحها بكفه .. كان أسمر

اللون.. خفيف شعر الشارب واللحية أقرن الحاجبين ، كثيف شعر الرأس .

أما الثاني فقد وقف يحفر في الجدار بسكينة ذات نصل صغير بعض عبارات الحكمة والموعظة ! والتي كان اثنان آخران يمليانها عليه وأسند الآخر ظهره إلى جدار الكهف وراح يذكر الله في سره .. فبذكر الله تطمئن القلوب .. وبذكرة وحده تنجلي الهموم وتزول الكروب!!

كان الراعي لا يني يتحرك.. وهو يحمل عصاه بيده .. يروح ويجيء ، وينظر إلى الرجال بصمت .. يريد أن يتكلم !
تمتم الراعي وقد نفذ صبره:

- لقد تأخر .

ثم أضاف وهو يتجه إلى باب الكهف ، وقد جعل طرف العصا يسبقه:

- لو ذهبت أنا؟ .. كنت أرسلت ماوية إلى المدينة لتأتي بالطعام .. فهي امرأة .. لا يعرفها أحد .
لم يرد عليه أحد.. !

عاود سيره ذهاباً وإياباً.. ثم نظر إلى الشاب الذي أسند ظهره إلى الجدار، والذي يبدو وكأنه أميرهم :
-لو أرسلتني ..

قبل أن يتم عبارته سمع الكلب ينبح .. فصاح :
- هذا الكلب ينبح .. لا بد أنه رأى إنساناً .
- إنه ما زال ينبح منذ الصباح .
تنفس الراعي عندما سمع أحداً يجيبه .. يبدو أن الجميع كانوا في حاجة إلى الكلام للتسرية عما في نفوسهم .
- ماذا سنفعل عندما يأتي؟
أجاب الشاب الأسمر الذي كان يخط على الأرض :
-تناول الطعام ثم نخرج .
-إلى أين؟

- نذهب إلى بلد لا يضام فيه الناس .
قال الرجل الذي أسند ظهره إلى الجدار .. وكان في نبرات صوته شيء يهز القلوب :
- سنمكث إلى الليل .. ثم نغادر .
- إلى أين؟

- نسيح في الأرض .. نسأل عن بلدة تحيط بها الجبال .. تدعى مكة .. أو بكة .

- نذهب إليها .. ونقيم فيها .

- لماذا؟

سأل الشاب الذي كان يحفر في جدار الكهف بعض آيات الحكمة والموعظة :

- لماذا نذهب إلى مكة .. ونقيم فيها ؟

اعتدل الرجل في جلسته .. كان في وجهه طول ، وفي عينيه صفاء .. وفي قسماط وجهه ما يدل على الحزم والعزم وعدم التردد.

قال .. وكأنه يلقي عليهم درساً :

- لأنها البلد الذي سيعث فيه النبي الأمي الذي بشر به الأنبياء جميعاً.

قال الراعي بصوت يشبه الهمس :

- نقيم هناك ومنتظر؟

- نعم .. سننتظره .. لعلنا ندرك يومه فننصره .

إنه آخر الرسل .. ولن يبعث الله نبياً من بعده .

ساد صمت طويل .. كانت الجدران خلاله تتلهف إلى
سماع شيء آخر.. وسؤال يجول في نفوس الرجال يريد أن يخرج.
- لماذا؟

سأل الراعي أيضاً:

- لماذا لا يبعث الله نبياً من بعده؟
تنهد الرجل .. وأخذ نفساً عميقاً.. وظن الجميع أن
السؤال سيقى معلقاً بلا جواب!! ولكن الرجل عاد بعد قليل
فقال :

- لأن شريعته ستبقى إلى الأبد.. لأن دينه سيقى
ما بقيت الدنيا .. لأن أتباعه سيقومون بمهمة الأنبياء..
وليسوا بأنبياء!!

كل الأديان ستتحسر.. وتراجع..

إلا دينه ..

فإنه سيمتد..

وسيعم الأرض كلها ..

سيأتي دينه على كل الأديان..

سيأتي على ما يأتي عليه الليل والنهار!

- أهذا أوان بعثته؟

- لا أدري..

- متى سيبعث؟

- هل نستطيع أن نكون من أنصاره؟

- ليتنا ندركه..

ليتنا ننصره ..

ليتنا نستطيع أن نكحل عيوننا بالنظر إليه.

ليتنا.. ليتنا.. ليتنا..

- ما اسمه؟

- إنه محمد.. رسول الله.

كان الحديث شائقا للغاية..

كانت جدران الكهف تنصت باهتمام بالغ .. وقد خيم

السكون على الفتية مرة أخرى .. وطارت أرواحهم تحلق في

الكون العريض وتجول فيه .. لعلها تستطيع أن ترى .. أو تتخيل

البلد الذي سيبعث فيه سيد الخلق.. النبي الحبيب!..

في أي أرض الله تقع مكة..؟

ما شكلها ..

ما سعتها ..

لا بد أن تكون مدينة المدن .. جمالاً .. ومكاناً ..

وسعة .. وعلماً .. وحضارة .. وبنیاناً!!

قال الشاب الأسمر الذي كان يخط على الأرض :

- أريد أن أخرج لأشرب من العين .

- اذهب .. واحذر أن يراك أحد .

قال الراعي .. الذي كان قد جلس يستمع إلى الحديث :

- وأنا أيضاً .. أريد أن أبلل ريقى .

أشار الرجل الذي يأتمرون بأمره، أشار بيده:

- عندما يعود .

خرج الرجل .. كان شديد الحذر .. وظل الراعي يروح

ويجيء ، ويضرب بعصاه جدار الكهف .. وبعد مدة عاد وهو

يمسح وجهه وشعر رأسه بالمنديل .. كان يبدو عليه أنه رأى شيئاً

غريباً .. لكنه لم يرد أن يتكلم .

- هل رأيت شيئاً؟

هز رأسه وهو يمسح يديه إلى الساعدين بالمنديل:

- نعم .

- ما هو ؟

- اخرجوا فانظروا بأعينكم

هتف الراعي .

_ سأخرج أنا.. إنه دوري.

- اخرج .. ولكن لا تبعد

- سأشرب قليلاً.. وأغسل وجهي وأعود.

- لا تبعد.

- لا أبتعد عن عين الماء.

فلما خرج الراعي قال الرجل:

- ليذهب كل منكم .. الواحد بعد الآخر.. ثم

يعود .. واحذروا أن يراكم أحد.

عاد الراعي بعد قليل وهو يقول متعجباً:

- سبحان الله.. سبحان الله القادر على كل

شيء.. لقد تحولت الأرض القفراء الجرداء القاحلة إلى جنة!!

.. تحولت إلى روض ناضر وعشب زاهر.. ومراع خضر!!

.. وعين الماء..

التي كانت عالية .. صارت في متناول اليد!

كيف حدث هذا؟!

في يوم واحد ..

في ليلة واحدة ..

يتبدل كل شيء.

سأدعو ماوية لكي تأتي بالشيء فترعى في هذا المكان .

العشب يملأ المكان ..

والطيور تنتشر ..

وكل شيء .. كل شيء أصبح جميلاً .. فاتنا.

- هذا الكلب ينبح .. اسمعوا .

- لعله قد عاد ..

- هل أنظر .. فأرى من القادم؟

- لا .. انتظر ..

بعد قليل دخل الشاب الذي أرسلوه إلى المدينة ، يحمل

صرة مليئة بالطعام:

- السلام عليكم.

٣

بسط الشاب منديلاً عريضاً، وضع فوقه صرة الطعام ثم

قال :

- بسم الله .. كلوا .

ترك الشاب الذي كان يحفر في جدار الكهف عمله،

ومسح السكين ثم قال :

- أين كنت يا رجل.. كنا في غاية القلق عليك.

- جئتمكم بالطعام الذي طلبتم .

- هل تأكدت أن لا أحد من جنود الملك دقيانوس

قد رآك أو تبعك؟

- لا أحد.

جلس الجميع حول المنديل يتناولون الطعام.. وألقى
الراعي بشيء منه إلى الكلب.

قال الراعي يسأل عن زوجته:

- هل رأيت ماوية؟

أجاب الشاب دون أن يرفع رأسه :

- لا.. لم أرها .

- لعلها خرجت ترعى الغنم .

قال أمير الجماعة:

- كيف حال المدينة ؟

- بخير .

- هل خف الطلب عن جماعتنا؟

- نعم

سأله الشاب الأسمر :

- هل كف الجنود عن اقتحام البيوت واعتقال

المؤمنين ورجلهم؟

- نعم

- فهض الرجل الذي كان يكتب وقال :
- أريد أن اشرب قليلاً من الماء .
- هتف الشاب الذي جلب الطعام وكأنه قد مسه شيء:
- لا .. لا تخرج .
- لماذا؟
- لا بد من الحذر.
- قلت إنه لم يتبعك أحد من جنود الملك ؟
- لكن الحذر واجب .
- كف أمير الجماعة عن الطعام وسأله :
- هل رأيت أحداً ممن نعرف؟
- لا .
- قال الراعي:
- كنت أحب أن تخبر ماوية لتأتي بالشيء فترعاها
- هنا .. إنه مرعى خصيب .
- لم أرها.
- لعلها كانت داخل الكوخ؟
- لم أر الكوخ.

قال أمير الجماعة بلهجة رصينة جادة:

- أنت تكتنم عنا شيئاً .
- نعم .. لا .. ماذا أكتنم؟
- ما الشيء الذي لا تريد البوح به ؟
- أنا؟
- قل .
- ماذا أقول ؟
- أراد أن ينهض وهو يقول :
- سأشرب .
- قاطعة الرجل :
- ليس قبل أن نخبرنا .
- بماذا أخبركم؟
- بالذي حدث .
- كفت الأيدي جميعاً عن الطعام، وتركزت العيون عليه..
- وراحت القلوب تدق بسرعة:
- ماذا حدث؟!!

قال الأمير :

- تكلم .. فنحن على استعداد لنسمع أي شيء
مهما كان.

مسح الشاب فمه ويده وبقي ساكتا.

-هل علي أن أستمري في الأسئلة وأنت تجيب؟
هز رأسه:

- لا.

- تكلم إذن.. هل حدث شيء في المدينة؟

- نعم .

تطلعت جميع الوجوه إليه بلهفة.. ماذا حدث .. ما الذي

يكتمه عنا.. لماذا يتردد في الجواب!!؟

قال بعد قليل:

- لقد مات الملك دقيانوس .

- مات الملك ؟ !!

هتف الجميع بشيء عظيم من الدهشة والفرحة

والتعجب! ونهض الراعي فصاح بانفعال عظيم :

- الله أكبر.. الله أكبر.. انتهت المشكلة سأذهب
إلى ماوية أبشرها.

سأل أمير الجماعة:

- فمن تولى الحكم بعده؟ .. الشاب الأحق
منيفوس؟

أجاب الشاب دون أن يرفع رأسه عن الطعام:

- مات منيفوس أيضاً.

- فقد حدث شيء كبير..

- نعم .

- أخبرنا.

رفع رأسه عن الطعام وسألهم :

- كم لبثتم في هذا الكهف؟

قلنا عندما استيقظنا .. يوماً أو بعض يوم

قال الأمير :

- ما علاقة سؤالك بما نحن بصددته؟

- علاقة وثيقة.

- أفصح.

نظر بعضهم في وجوه بعض .. ماذا يريد أن يقول لنا ..
ما علاقة هذا بما نحن فيه ..

كرر الشاب ما قاله الشاب الأسمر :

- يوماً أو بعض يوم .

- هل هذا رأيكم جميعاً؟

أجاب الشاب الأسمر مرة أخرى:

- كم تظن أننا لبثنا .. يومين .. ثلاثة؟

- أنا أسأل .

- أجب أنت ..

- نعم أجب أنت .. نحن لا نعلم .

- ربنا وحده يعلم

- أخبرنا .. لا تقطع أنفاسنا.

قال بصوت هادئ :

- لقد لبثتم أكثر من ذلك

- أسبوعاً؟

- شهراً؟

- مستحيل .. الشهر كثير ..

- لو كان الأمر كذلك لظهر على شعرنا
وسحتتنا..

ثم أضاف وهو يبسط كفيه وينشر أصابع يديه:

- وطالت أظافير أصابعنا.

راح بعضهم ينظر إلى أظفار أصابعه ، وبعضهم يقلب

النظر في وجوه أصحابه .. لم يتغير فيهم شيء .. لحاهم ..

وجوههم .. ملابسهم .. كلها كما هي بالأمس . ثم رفعوا

رؤوسهم إلى الشاب الذي عاد من المدينة

- لقد لبثتم ثلاثمائة عام وزيادة!!

نظروا إليه وكأنهم لم يسمعوا.. أو سمعوا ولكنهم لم

يصدقوا !

هز رأسه وهو يتطلع في وجوههم التي أخذتها هول

المفاجأة:

- ثلاثمائة عام.

- قل.. قل غير هذا.

- أنا لا أمزح .

- ثلاثمائة عام ؟

- وأكثر

- أكثر؟!!!

- وتسعة أعوام .

خيم سكون عجيب على الجميع .. راحوا ينظرون في
وجوه بعضهم .. وعاد الراعي إلى الجلوس .. هل يصدقون ما
يسمعون؟! ثلاثمائة عام؟!!

قال أمير الجماعة بصوت خفيض كأنه يخاطب نفسه:

- ثلاثمائة عام .. فقد تبدل كل شيء.

- نعم .

- الملك غير الملك .. والناس غير الناس .. والمدينة

غير المدينة .

- هذا ما حدث

- فلا الناس الذين نعرفهم .. ولا الأهل .. ولا

الأقارب

- لا أحد من أولئك .

هتف الراعي كالمأخوذ:

- وماوية.. والغنم .. والكوخ.. يا رب.. يا رب..
رب..

- لقد مات الملك دقيانوس .. والذي بعده وبعده
وبعده .. وماتت ماوية .. وغير ماوية.. وكل الناس الذين
كنا نعرفهم، أو عشنا معهم !!
هتف الأمير:

- ودعوة الله؟ .. هل بقيت أمة من الناس تدعو إلى
الله تعالى؟

راح الشاب يتكلم بصوت عميق مؤثر هز القلوب:

- لقد بارك الله تعالى في النبتة الصغيرة الزكية التي
زرعناها..

فنمت .. وامتدت..

وصعدت في السماء..

وراحت أغصانها في كل اتجاه..

أصبحت شجرة عظيمة ..

دوحة باسقة ..

وارفة الظلال ..

شهية الثمار..

لقد آمن من في المدينة.

- كلهم؟

- كلهم .. حتى الملك .. حتى الوزير .. حتى

الجنود..

كل الناس قد آمنوا..

الرجال.. والنساء .. والشيوخ.. والأطفال. المدينة اليوم

يحكمها رجل عادل صالح..

ملك مؤمن رقيق بشعبه.. يحبهم ويحبونه.. الناس في

أمان..

والدعوة إلى الله في أمان..

لا يطاردهم ملك كافر..

ولا ينادونهم سوط ظالم.

.. إنهم

- أقول..

- نعم..

- هل رأيت ذلك بعينك؟

- نعم.
- ورأيت الملك؟
- نعم.
- هل كلمته؟
- هل سألك عنا؟
- هل أخبرته بما جرى لنا؟
- هل . . .
- هل . . .
- هل . . .
- نعم .. نعم .. نعم ..
- لقد جاء الملك ..
- وجنوده ..
- وأهل المملكة ..
- وأهل المدينة ..
- والناس .. كل الناس.
- للاحتفال بكم.
- للسلام عليكم ..

لتكريمكم..

لقد أصبحت المدينة غير المدينة التي كنا نعرفها .. والناس

غير الناس..

لقد امتدت المدينة .. واتسعت أطرافها.. والناس في أمن

وطمأنينة.. وسلام.

لم تتحمل قلوبهم مشاعر الفرح التي هجمت عليهم مرة

واحدة.. فراح أحدهم يبكي بانفعال.. ونسي الراعي زوجته

وغنمه وراح يضرب بعصاه جدران الكهف وهو يصيح:

- الحمد لله.. الحمد لله الذي نجانا من القوم

الظالمين .

ثم اندفع خارج الكهف والدنيا لا تسعه من الفرح ..

لكنه عاد بسرعة وهو يقول :

- نحن مطوقون.

أشار أمير الجماعة إليه بيده:

- اجلس

لكن الشاب الذي عاد من المدينة نهض متحمساً وراح
يبحث الجميع على النهوض.

- لماذا يجلس .. انهضوا كلكم .. اخرجوا وانظروا
بأعينكم إنه اليوم الذي تنتظرون..

إنه يومكم..

إنه عيدكم..

إنه عيد الأعياد

- اجلس .

- لا.. لا بد أن تروا بأعينكم هذا الحشد الهائل من

الناس الذين جاؤوا لمشاهدتكم.

- اجلس.

- سيدي .

- اجلس.

ثم وجه كلامه إلى الجميع:

- لا يتحرك أحد قبل أن يسمع كلامي.

جلس الجميع على شكل دائرة حول المنديل الذي
وضعت عليه صرة الطعام .. وراحت القلوب تدق بسرعة ..
وجدران الكهف تنصت باهتمام .. ومضت لحظات خالها الجميع
ساعات .. والرجل مطرق كأنه قد أضرب عن الكلام!

- اسمعوني أيها الأخوة الأحبة .

هكذا بدأ كلامه .. بصوت خفيض مرتعش .. وأسلوب
هادئ جذاب .

- اسمعوني جيدا ..

إن الامتحان الذي تتعرضون له الساعة .. أقسى من كل
ما مر عليكم!

إن الفتنة التي تنتظركم .. هي أشد آلاف المرات من الفتنة
التي تعرضتم لها أيام الملك الكافر دقيانوس إنها أشد من لذع
السياط .. والكي بالنار ..

والرجم بالحجارة!!

إنها الدنيا . . .

بكل ما فيها من إغراء وفتنة وزيف !!

إنها المال الذي يغير قلوب الرجال ..

إنها النساء..

إنها الشهرة والظهور الذي يقصم الظهور .

وسكت قليلا.. لكي تأخذ الكلمات مكانها من نفوسهم

ثم عاد يقول :

- ماذا تريدون ؟

ماذا كنتم تبتغون من وراء عملكم في سبيل الله ؟ لقد

أيقظكم الله تعالى ليريكم .. بأعينكم .. ثمرة جهادكم في سبيله .

ولكي يعلم الدعوة إلى الله من بعدكم .. أن العمل الجاد

الصواب .. الخالص لله تعالى.. لا بد أن يظهر .. وأن الله

سينميه.. بعلمه.. ومعرفته..

وها أنتم .. قد رأيتم..

وهذا يكفي..

لأن هذا ما كنا نريد ..

أن ينتصر دين الله ..

وقد انتصر.

إن إبليس لم يستطع أن ينال منكم بواسطة دقيانوس

وزبانيته..

إنه لم يستطع أن يفل من عزيمتكم..

فلا الضغط..

ولا الإرهاب..

ولا الشياطين..

ولا الكلاب..

لا واحد من هؤلاء استطاع أن ينال منكم!!

فجاءكم بالدنيا مغلفة بما تحبون وتشتهون..

جاءكم بالسم ممزوجاً بالعسل . . .

جاءكم بالملك الجديد .. وجنده..

جاءكم بكل الناس ..

لكي يفتحوا لكم بيوتهم.. وجيوبهم !!

ستفتح عليكم الدنيا أبوابها..

ستزوجون أجمل النساء..

ستسكنون أفخم القصور..

ستركبون المراكب الفارهة..

سيقبل الناس عليكم .. يقبلون أيديكم وأرجلكم.
وستحدثوهم بجهادكم ..
وتذكرون بطولاتكم..
وستمنون عليهم .. وعلى الله ..
من حيث لا تشعرون..
والفضل .. كل الفضل .. أولاً وآخراً .. لله وحده..
وليس لكم !!

فهل تريدون أن تبيعوا آخرتكم بهذه الدنيا؟!
هل تريدون أن تبيعوا الجنة التي أعدها الله للمتقين بحفنة
من المتاع الزائل؟!
هل تريدون..
هل تريدون..
فمن أراد أن يجرب نفسه..
ومن أراد أن يعرض إيمانه للخطر الجديد..
ومن أراد أن ينغمس في الدنيا إلى أذنيه..
فليخرج..
فإن الدنيا تنتظره .. بكل مفاتها ..

.....
.....
.....
وسكت الرجل..

وترك كل واحد يدير ما قاله مع نفسه .. وراح الشاب
الأسمر ينكت الأرض بعود في يده وهو يفكر ..

والراعي ينظر ولا يدري بماذا يجيب
والبقية قد أطارقوا وهم ينتظرون أن يسمعوا بالبديل..

ما هو البديل؟

عاد الرجل فقال :

- لا نستطيع أن نهرب .. لأنه ليس للكهف إلا
هذا المنفذ الذي يحيط به الناس من كل مكان .. ولا نستطيع
أن نبقى داخل الكهف دون أن نخرج إليهم لأن الناس
سيهجمون علينا بعد قليل .. فإنهم لا يطيقون الانتظار.

علينا أن نرغب إلى الله ..

نسأله أن يأخذنا إليه..

فمن أراد الله واليوم الآخر .. فليؤمن على دعائي.
ومن أراد الدنيا..
فليخرج..
فإنها تنتظره..
على باب الكهف
ثم سكت لحظات..
كأنه يريد أن يستجمع كلمات الدعاء..
وكان قد أطرق كالنائم..
ولم يكن لدى أي منهم ما يقول.
وماذا يقول؟
لقد اقتنع الجميع بصواب ما قال..
ولم يرفع أحد منهم رأسه ..
وكانت الجدران تتلهف لمعرفة ما سيكون..
وكان الصمت مخيماً..
والسكون قد لف المكان..
والكلب في مدخل الكهف .. باسط ذراعيه.

رفع الرجل رأسه ..
وارتفعت الأكف بالدعاء ..
واغرورت العيون بالدموع ..
راغبة إلى الله تعالى.

..... اللهم

.....

يا أرحم الراحمين .
- آمين .

الفصل الخامس

المسجد..

١

قال عبد الله يخاطب أباه سلمى:

- هل سنأخذهم معنا إلى البيت؟
- لا.

سأل العبادلة الثلاثة بصوت واحد:

لماذا؟

- سيذهبون مع الملك .. إنهم في ضيافته.
- لكن أحدهم كان عندنا هذا الصباح؟
- سيلي دعوة الملك .

صاح الصغير:

- دعنا ننتقل إلى مكان آخر .. فإن الناس يحبون

عني رؤيتهم .

- أنت ستقف فوق الحمار وستراهم جيدا.
قال الرجل الأعمى الذي وضع يده على كتف الشاب
الطويل الأسمر:

- عندما تراهم يخرجون من الكهف أخبرني ..
- يجب أن أصل إليهم قبل أن يلتف الناس حولهم
- دخل أحدهم إلى الكهف فلم يخرج بعد .
- سمعت كلبا ينبح .
- إنه كلبهم .
- هل خرج الرجل؟
- لا .

- سيكلمهم ثم يخرجون .. سيخبرهم بأن الناس قد
جاؤوا للترحيب بهم فيخرجون.

- لعلهم ينتظرون غروب الشمس ثم يخرجون.
- لماذا؟

- لأنهم لم يتعودوا عليها منذ مئات السنين!
قالت المرأة البدنية السمراء تخاطب زوجها الأبيض

النحيف :

- أنا تعبت .. وجعت .. تعال بجلس هنا .. لا..

هنا..

ألم تأكلي قبل أن نخرج من البيت .. اصبري قليلا.

- الأطفال أيضا جاعوا.. تعالوا.. اجلسوا..

نشرت منديلا أحمر على الأرض ، ووضعت فوقه الطعام

وجلست تأكل وهي تقول:

- كلوا.. بسم الله.. هل نموت من الجوع.. كيف

صبروا كل تلك المدة بدون طعام.. تعال كل شيئا.

- كلي أنت وأطفالك.. أما أنا فسأقف هناك أنتظر

.. انظري.. هناك.. فإذا انتهيت من الطعام فناديني!

- يا رجل.. يا نحيف.. ارحم نفسك.. البدانة هيبة

للرجل والمرأة.

- احتفظي بنصائحك يا مهيبة.

- لا أستطيع الانتظار أكثر .. دعنا نعود .

- نعود بعد أن وصلنا إلى هنا؟

- أنا تعبت.. تعبت من المشي أولا ثم من الوقوف

ثانيا.. سأقع على الأرض!

- اجلسي
- أجلس.. كيف أجلس؟
- اجلسي فوق العشب مثل بقية الناس .
- انظري كيف ينتشرون .. كل النساء والأطفال يجلسون فوق العشب.
- يتسخ ثوبي.
- العشب نظيف .
- كلهم يجلسون ويأكلون.. أنت لم تسمح بأن آخذ رغيفاً واحداً.
- انظري .. تلك صديقتك جارة أطفالها.
- أين؟
- هناك.. قرب الرجل صاحب الحمار. اذهبي فكلي معها.
- ماذا ستقول عنا؟
- أين هم الآن؟
- داخل الكهف.
- هل أنشأوا لهم بيوتاً داخل الكهف؟

- لا
- كيف عاشوا كل تلك المدة؟
- كانوا نياماً .
- مائة سنة؟!
- أكثر من مائة سنة؟
- نعم
- هل نستطيع أن ننام مثلهم؟
- لا.
- لماذا؟
- إنها آية من آيات الله .. أراد الله تعالى أن يريها للناس ولهم.. لكي يعلم الناس .. قاطعه سائلاً:
- ماذا يعلم الناس؟
- لكي يعلم الناس أن الله تبارك وتعالى قادر على أن يبعث الناس يوم القيامة .
- كل الناس يبعثون ؟
- كلهم .

نظر الرجل إلى صاحبه نظرة تنطوي على سؤال يخصه
ففهم قصده وأشار بالسبابة إلى صدره وهو يقول:

- حتى أنا .. وأنت!!
- هل ذهب الملك إليهم؟
- إنه يقف هناك .
- لو كنت ملكا لتقدمت نحوهم .
- عندما تصبح ملكا.. افعل ما تشاء.
- وأنت؟
- لا أريد
- إنهم يتكلمون لغتنا.. أليس كذلك؟
- بلى .. ولكن لهجتهم تختلف.
- هل أستطيع أن أكلمهم؟
- لم لا
- أنت قلت إن لهجتهم تختلف.
- الاختلاف يكون في طريقة لفظ الكلمة
وأدائها.. إطالة الكلمة.. بترها .. تقديم بعض الحروف أو
تأخيرها.

- فهمت .. إنهم إذا أرادوا أن يقولوا: رغيف
قالوا: فريغ. وإذا أرادوا أن يقولوا : عسل قالوا : لسع.
- ماهذا !؟ .. أنت غيرت المعنى !
- الرغيف يدل على الخبز .. والفريغ يدل على الشيء
الفارغ. والعسل معنى .. ولسع معنى آخر.
- أنت قلت!
- سيخرجون بعد قليل وتكلمهم وتعرف معنى
الاختلاف في اللهجة .
- مال الوزير على أبي مجدّ الاسكندري وسأله بهمس:
- هل تظن أنهم سيخرجون ؟
- هز الاسكندري رأسه وأجاب بصوت خفيض:
- لو كان في نيتهم الخروج لخرجوا .
- قال الوزير ، وقد التفت إلى الملك فرآه يتململ :
- أخشى أن يكون الفتى قد فشل في إقناعهم ..
فهربوا .
- تبسم الملك .. وقد مل الانتظار.. فقال:
- نحن نقف أمام الكهف.

تمتم الوزير وهو يشير بيده:

- هذا إذا لم يكن للكهف منفذ آخر .

- أتظن ذلك؟

أكد الوزير كلامه:

- ظنا يشبه اليقين .

- لقد كان الكلب ينبع

- ولكنه لم يفعل ذلك منذ دخل الكهف.. إنه لم

يخرج.

تنهد الملك وقال .. وهو يخشى أن يكون الوزير على

صواب:

- لعلك على حق.

قال الوزير مقترحا:

- أليس الأفضل أن نرسل رجلاً يستطلع الأمر ..

لقد مضى وقت طويل على ذهاب الشاب إلى أصحابه ثم

إن الشمس قد بدأت تنحدر نحو المغيب.

هز الملك رأسه مقتنعا:

- اختر رجلاً كَيْساً.. عاقلاً .. يحسن التصرف..
ليقف قريباً من الكهف ثم ينادي ثلاث مرات .. ولا يدخل
قبل أن آذن له .

- سأرسل الاسكندري

- نعم .

هبت نسمة عطرة من جهة الكهف، كأن رائحتها
المسك الأذفر ! وانحدرت الشمس بتراخ نحو الغروب ومدت
أشعتها الوردية بصورة متوازية مع باب الكهف.. ليست مواجهة
له! فكانت نظرتها الفاترة تدل على أنها قد جهدت من طول
المسير!!

اتجه الاسكندري.. ببطء.. نحو الكهف . العشب
الأخضر يمتد إلى سفح الجبل .. بل يتشبث بالجبل .. بل يتوزع
بين الصخور الرمادية والبيضاء . وقرب عين الماء حطت بعض
العصافير .. فلما اقترب الاسكندري أفرقه السكون.
وقف قريباً من الكهف ونادى بأعلى صوته:
- يا أصحاب الكهف .. يا أصحاب الكهف . لم
يسأل الفتى الذي قابل الملك عن أسمائهم .. أو عن اسمه.
انتظر قليلاً ثم صاح مرة أخرى:

- يا أصحاب الكهف رجل كان يرعى الغنم ..

عاد الثالثة:

- يا أصحاب الكهف.. أيها الراعي .

انتظر بعدها لحظات ثم رجع..

حدث في تلك اللحظة ما لم يكن في الحسبان! فقد صاح

رجل من خلف الناس بأعلى صوته.. عندما رأى الاسكندري

عائدا:

- خرجوا.

فاندفع الأعمى ، وقد ترك صاحبه. . وهو يصيح:

- ادعوا الله أن يرد إلي بصري.

وركض الناس خلفه بلا روية..

وترك النساء الطعام ونهضن مسرعات.

وذهلن عن أطفالهن!!

كانت موجة عارمة.. جعلت الجنود يتراجعون إلى

الخلف بلا نظام.. وسقط بعض الناس فوق بعضهم! ولم تقف

الموجة إلا قريبا من الكهف.

ثم عادوا إلى الخلف بعد أن شعروا بخطأ فعلتهم. وكانت
عودتهم بصورة بطيئة ومتمهلة.. وكان بعضهم يضحك لأنه
انخدع بصيحة الرجل .. ونهض الأعمى يتوجع وقد أصابه الكثير
من أرجل الناس.. وكان صاحبه الشاب قد أدركه وأعانه على
النهوض .. ولكنه فقد عصاه.. فقد طارت من يده عندما سقط
على الأرض.

وبينما كان الناس يتراجعون بلا نظام.. كان سؤال
واحد يلح على الملك:

- متى يخرجون؟

ثم قرر أن يتقدم بنفسه إلى الكهف. فمن غير المعقول ترك
الناس يتصرفون على هواهم .
وتقدم الملك..

يتبعه قائد الجند .. والوزير.. ورجال المملكة .. وأبو
مُجدد الاسكندري.

وارتقى الحجارة البيض التي أمام الكهف .
وتقدم خطوات.. ثم التفت إلى الوزير وقال :
- نادهم .

فصاح الوزير :

- يا أصحاب الكهف.

وردد الجبل صدى صوته..

وأراد بعض الواقفين أن يرددوا وراءه.

ولكن شيئاً ما رآه الملك جعله يشير إلى الوزير بأن يكف

عن النداء.

رأى في مدخل الكهف شيئاً هزّه!!

جعله يتسمر في مكانه..

ماذا رأى؟!!

٣

رأى الكلب باسطاً ذراعيه.. مائلاً برأسه إلى الأرض ..
وقد فارق الحياة!!

تقدم الملك ببطء شديد ..

كأنه يتوجس شيئاً..

أو يخشى أن يرى شيئاً..

وقد رأى ما كان يخشاه!؟!

رأى الطعام الذي كان يحمله الشاب في صرة.. قد وضع
على منديل مفروش على الأرض.. وقد أحاط به سبعة من
الرجال في مقتبل العمر.. قد فارقوا الحياة!!

كان أحدهم قد استند إلى الجدار.. في هيئة حسنة..
ولباس جيد.. كأنه لم يفارق الحياة.

أمام ذلك الرجل ، ستة رجال جلسوا على شكل دائرة
عرف من بينهم الشاب الذي كان في المدينة .. وكان مستنداً إلى
زميله..

أما الراعي .. فقد تمدد على الأرض .. وتمددت العصا
إلى جانبه لم تفارقها يده.

جميع الرجال كانوا في هيئة حسنة.. ولباس حسن عدا
الراعي.. الذي كانت ثيابه قديمة .. رثة.. ابتسامة جميلة..
هادئة.. رضية.. كانت ترسم على وجوههم.. كلهم!

لم يستطع الملك .. ولا الوزير .. لم يستطع واحد ممن
دخلوا الكهف مع الملك أن يقرأ الكتابة التي كانت قد نقشت
على الجدار بسبب الظلام.

أجهش الاسكندري بالبكاء.. وتبعه الوزير .. وتمالك
بقية الرجال أنفسهم.. واستطاعوا التغلب على دموعهم.

استمر الموقف الحزين لحظات.. ثم خرج الاسكندري

ليعلن للناس : لقد ماتوا!!!

٤

وغابت الشمس..

وسجل القرآن الكريم ما حدث بعد ذلك:

(إذ يتنازعون بينهم أمرهم.. فقالوا: ابنوا عليهم بنياناً

.. رهم أعلم بهم. قال الذين غلبوا على أمرهم: لنتخذن

عليهم مسجداً)

* * *

رَفْعٌ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

